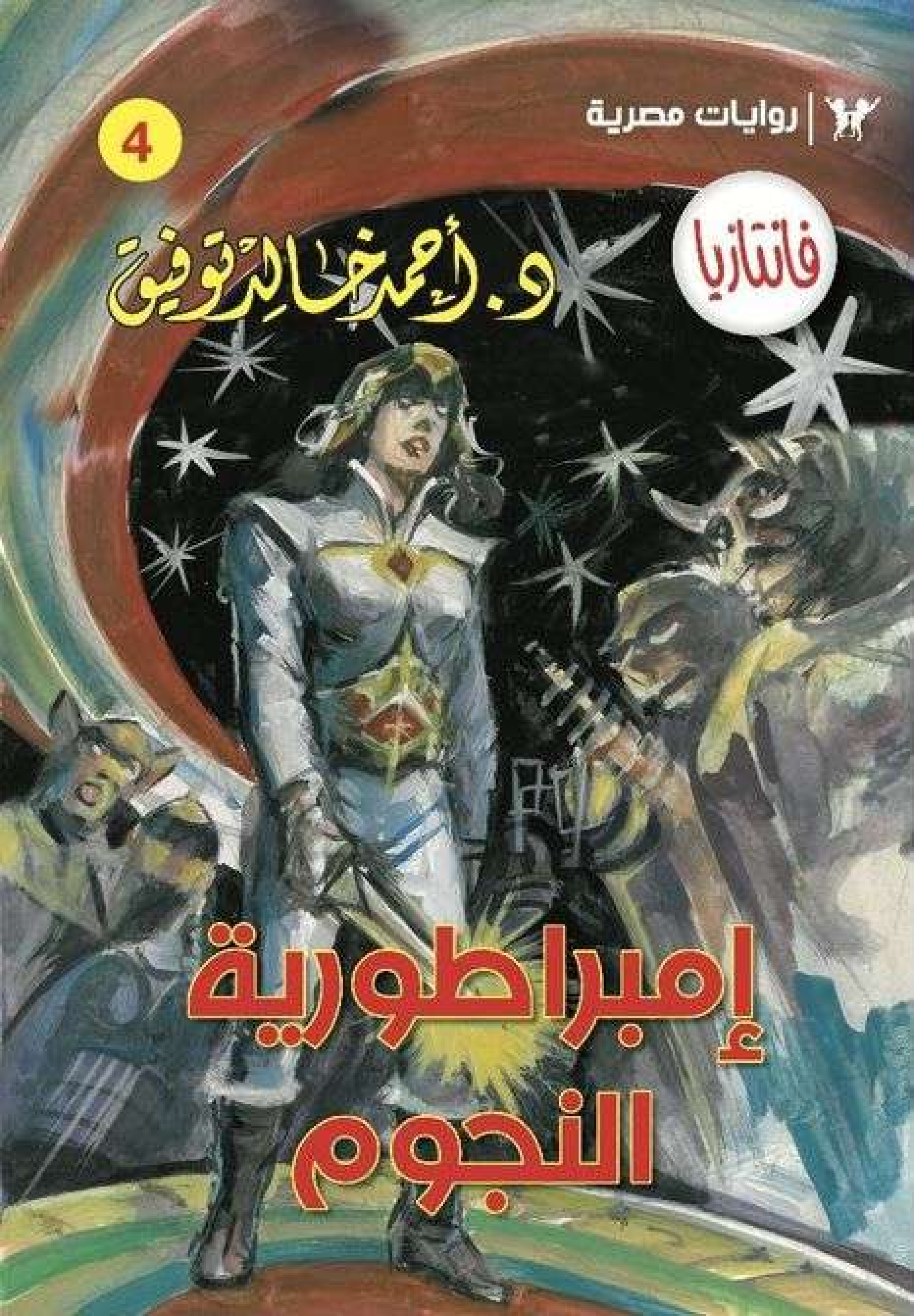


روايات مصرية
4
فانتازيا
د. أحمد خالد توفيق
إمبراطورية
النجوم

مقدمة

اسمها (عبير) ...

لم يكن لها نصيب من اسمها ... فهى تفتقر إلى الجمال الذى يوحى به الاسم .. إنها سمراء نحيلة بارزة عظام الوجنتين ، باردة الأطراف .. ترتجف رعبًا من أى شىء وكل شىء ...

إنها حتى غير مثقفة .. وبكل المقاييس المعروفة لاتصلح كى تكون بطلتنا .. أو بطلة أى شخص سوانا ..

هى لا تلعب التنس ، ولا تعرف السباحة ، ولا تقود سيارات (الرالى) ، وليست عضوًا فى فريق لمكافحة الجاسوسية ، أو مقاومة التهريب ..

لكن (عبير) - برغم ذلك - تملك أرق روح عرفتها فى حياتى .. تملك إحساسًا بالجمال ورفقًا بالكائنات .. وتملك مع كل هذا خيالاً يسع المحيط بكل ما فيه ...

لهذا أرى أن (عبير) هى ملكة جمال الأرواح ، إذا وجد لقب كهذا يومًا ما ..

ولهذا أرى أن (عبير) تستحق مكافأة صغيرة ....

ستكون بطلتنا الدائمة .. ولسوف نتعلم معًا كيف نحبها ونخاف عليها ونرتجف فرقًا إذا ما حاق بها مكروه ....

ولأن (عبير) تملك القدرة علـى الحلـم .. ولأنهـا تختزن فى مقدمة مخها مئات الحكايات المسلية ، وآلاف الأحداث التى خلقها إبداع الأدباء عبر العصور ..

لذلك وقع عليها الاختيار كى ترحل إلى (فانتازيا) ..

(فانتازيا) أرض الأحلام التى لا تنتهى ..

(فانتازيا) حيث كل شىء ممكن .. وكل حلم متاح ..

(فانتازيا) جنة عاشقى الخيال ....

ولسوف نرحل جميعًا مع (عبير) .. سنضع حاجياتنـا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى (فانتازيا) ..

وهناك سنتعلم كيف نحلم ...

إن صفير القطار يدوى ، والبخار يتصاعد حول قاطرتـه ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. إذن فلنسرع ..!..

لقد حان موعدنا مع الأحلام فى (فانتازيا) ..



١ ـ زفاف !

تعالوا .. تعالوا ..

وليبلغ الحاضر منكم الغائب ، وليبلغ المستيقظ منكم النائم ، وليبلغ المنتبه منكم الغافل ..

يتم اليوم فى السابعة مساء زفاف ربة الصون والعفاف الآنسة (عبير عبد الرحمن) إلى المهندس (شريف إبراهيم) ..

تعالوا .. تعالوا ..

لقد كانت حربًا حقيقية .. ومحاولات إقناع لاتنتهى .. مع إلحاح .. فرفض .. فإلحاح فتردد .. فإلحاح فقبول ..

وفى النهاية هو ذا الكروان يردد تحت غطاء الغروب الأزرق ، أن فلانا كان لفلانة منذ الأزل .. وفلانة كانت لفلان منذ الأزل .. كذا كُتب فى اللوح المسطور ..

تعالوا .. تعالوا ..

لاتحضروا طعامكم معكم فالطعام يكفى الجميع .. فقط هاتوا زهورًا .. وهاتوا مرحًا وحبورًا .. وهاتوا جذلًا وسرورًا ..

ولا تنسوا يا سادة الميعاد ...

* * *

أخيرًا تم زفاف الحالمة إلى صانع أحلامها ..

وكان ما ساعد على إتمام هذا الزفاف، هو أن خطيبها السابق ـ الذى هو صديق أخيها ـ ارتكب خطأً معيبًا اعتبره أخو (عبير) قاتلًا .. ونحن نرجح أن الخطأ لم يكن فادحًا، وكان يمكن التجاوز عنه لو فى ظروف أخرى ..

لكن أخا (عبير) كان يبحث لنفسه عن مبرر ..

ولقد وجد واحدًا ..

وفى الساعة السابعة مساء من ذلك اليوم الصيفى البهيج .. تزوجا .. ولم تكن هناك ضوضاء كثيرة، ولم يقم الزفاف فى ناد أو ملهى .. بل فى دار العروس الضيقة، حيث راحت الجارات تزغردن، وقد حملت كل منهن رضيعها على كتفها، وجاءت لترى ما يحدث هنالك ..

وتطوع رعاع الحارة بضرب الطبول والتصفيق والرقص والغناء بأغانى الزواج المبتذلة السخيفة ..

بل وتطوع أحدهم كى يقف، ليتلوى بقميصه المشجر الذى انتفخ بالهواء .. وراح يحرك ذراعيه فى الهواء، وقد

فرد إصبعيه السبابتين ، ورسم على وجهه تعبيرًا من النشوة واللوعة ..

خطر لـ (شريف) أنه لا يفهم حقًا ، لماذا يكون رقص الشباب فى هذه الأيام أقرب إلى حركات الولولة ، وندب الموتى ، منه إلى أى رقص عرفه فى حياته ؟

وتطوعت فتاة فخلعت حذاءها كاشفة عن قدمين ترابيتين ، ولفت خصرها بإيشارب .. وراحت تتلوى أمام العريسين ..

كان كل هذا مبتذلًا يثير الغمّ والشفقة ..

لكن (عبير) أصرّت على أن يكون الزفاف هنا ، حتى لا يظهر عالمها فى مكان لا يليق به مثل فنادق الخمسة نجوم وغيرها .. وهى لا تتخيل أن ترى (أم باتعة) تدخل إلى (الشيراتون) وهى تزغرد .. أو ترى هناك أحد هؤلاء الفتية من حملة المطاوى ..

ثم إنها لم تكن تريد زفافًا حالمًا أو متفردًا ..

كل ما تريد هو أن يكون (شريف) ــ هذا الوسيم الرقيق ــ لها ، وأن تملك مفتاحها الخاص إلى (فانتازيا) ..

أما (شريف) فجلس يرمق كل هذا فى تواضع جميل ..

وبشجاعة تلقى مئات القبلات الغارقة فى العرق ، واللعاب على خديه ، من المهنئين المتحمسين ..

لم يكن يعنيه من كل هذا الهراء سوى أن روح (عبير) الفاتنة - روحها لا هى - صارت ملكه للأبد ..

جاء (صفوت) وقد رسم ابتسامة مصطنعة على وجهه .. وعانقه وصافح العروس ، ثم انصرف على الفور معلنًا احتجاجه الصامت على كل هذا ..

ليذهب التكافؤ الاجتماعى إلى الجحيم ..

أنت لى يا صغيرة .. وأنا لك ..

إذن فلتزأر العاصفة ..

★ ★ ★

استقرا فى شقة (شريف) الفاخرة ، وسافرا إلى (الغردقة) أسبوعاً على سبيل شهر العسل ..

لقد بدأت تغيرات غير مسبوقة تطرأ على (عبير) .. صارت أكثر جمالًا وجاذبية ، وكأن السعادة قد لمستها بفرشاتها السحرية ؛ لتجعل قبسًا من جمال روحها ينعكس على وجهها ..

وأحس (شريف) بأنه سعيد .. فخور بها ..

وكذا هي .. لم يخدعها (شريف) لحظة .. فهو ذلك الأرستقراطي النبيل الذي زاده الثراء تواضعًا وبساطة ..

إن المرأة لا تنخدع أبدًا في شعور رجلها نحوها .. وكانت هي تعلم الآن يقينًا أن (شريف) يحبها ..

لقد غدت الحياة حلمًا جميلًا هي ذاتها ..

لكن (عبير) - ولا تدري لمه - أحست أنها بحاجة إلى (فانتازيا) من جديد ..

* * *

صارحت (شريف) بهذا .. فقال في شيء من الإحباط :

- حسبتني أغنيك عن (فانتازيا) هذه ..

- أنت و (فانتازيا) شيء واحد ..

قالتها .. ولم تضف أكثر ..

ولو أن (عبير) تجيد الثرثرة ككاتب هذه السطور ، لعرفت ولاستطاعت أن تقول : إن الواقع هو الواقع .. باسمًا كان أو كئيبًا .. بهيجًا كان أو قاتمًا .. لا يتبدل ولا يتغير .. وهي قد أدمنت التغير .. وعشقت التبدل ..

يقول بعض الممثلين : إنهم عشقوا التمثيل ؛ لأنه يعطيهم تجددًا لا ينتهي .. مرة يلعبون دور القراصنة .. ومرة دور مطاريد الجبل .. ومرة دور رجال شرطة .. ومرة دور علماء .. وهكذا ..

و (عبير) لم تجد مكانا آخر مثل (فانتازيا) ، التى لعبت فيها مرة دور الآنسة الإنجليزية الباحثة عن (شيرلوك هولمز) ، ومرة دور الجاسوسة الحسناء .. بل وحتى دور مصاص الدماء !..

كانت بحاجة إلى رحلة إلى (فانتازيا) ..

وكان على (شريف) أن يوافق .

ولمَ لا ؟.. إن هذا سيسعدها أولا .. ثم هو استمرار لتجاربه التى لم تنته بعد .. ولن تنتهى إلا حين يصير (دى - جى - ٢) متاحا للجميع ، وليس لـ (عبير) فقط ...

* * *

٢ ـ مجرة أخـرى ..

كان الانتقال سلسًا فى هذه المرّة ..

لم تغرق (عبير) فى بحيرة فىء الخواطر والذكريات ، التى تجد نفسها فيها كلما اخترقت حاجز الواقع مع (دى ـ جى ـ ٢) ..

وأدركت أن عقلها الباطن صار أكثر مناعة وحنكة بما لا يقاس .. حتى كف عن هذه الهستيريا الشنيعة التى كان يغرق فيها ، كلما واجه التجربة غير العادية ..

فى لحظة كانت جالسة على المقعد ، والأقطاب على رأسها ..

وفى اللحظة التالية وجدت نفسها واقفة فى الوادى إياه ، والريح (تمضغ معطفها) على رأى شاعرنا (نزار قبانى) ..

* * *

انحنى (المرشد) فى رقة ، وأعانها على ركوب قطار الأحلام إياه .. وجلس جوارها وهو يداعب قلمه الجاف ..

ـ لم نرك منذ وقت طويل ..

ابتسمت وراحت ترمق معالم الطريق التى لم ترها فى أية مرة سابقة .. وقالت :

ـ كنت مشغولة أيها (المرشد) .. كنت أتزوج !.

ـ آها !.. إذن سنراك كثيرًا من الآن فصاعدًا !.. لسوف تكونين فى أمس الحاجة إلى الهرب من الواقع بعد زواجك ! :

ـ هذا ما لا أتمناه ! .

كانت ترى حقولًا ، وعمال تراحيل ، وامرأة غارقة فى الدماء تجرى وتصرخ فى هستيريا :

ـ « جدر البطاطة يا ضنايا ! » .

ورأت جنازة غاضبة تمشى على ضوء المشاعل قاصدة بيتًا تحيطه أسوار عالية .. ، ورأت فتاة مذعورة تمشى بين حشد من العجائز المتشككات لابسات السواد .. ، كما رأت فرسانًا (هجانة) .. وضابطًا يجر فلاحًا مربوطًا من قدميه خلف جواده الذى يهرول فوق حقول القطن ..

نظرت لـ (المرشد) متسائلة عن كل هذا .. فقال :

ـ « تك تتك » !.. هذا هو عالم الريف فى الرواية المصرية .. مشاهد من قصة (الحرام) لـ (يوسف إدريس) ، و (حادثة شرف) لنفس الكاتب .. ، ومشاهد

من (شيء من الخوف) لـ (ثروت أباظة) و (الأرض) لـ (عبد الرحمن الشرقاوى) ..

ثم سألها فى ترغيب :

- هل تريدين النزول هنا ؟

هزت رأسها أن لا .. وغمغمت :

- إن قصصهم واقعية .. واقعية مفعمة بالقسوة والحزن .. وأنا أريد أن أرى فى أحلامى شيئا مختلفا عن الواقع .. أريد مغامرات مثيرة وأحلاما مبهرة الألوان ..

هز رأسه فى فهم .. وقال :

- هى روايات تحتاج إلى درجة أعلى من النضج .. ولسوف تطلبين أن تريها يوما ما حين تملين اللهو والمغامرة .. أما الآن فدعينا نبحث عن الإثارة غير المشروطة ! :

- (عليك نور) ! - قالها فى مرح - الإثارة غير المشروطة هى ما أريده الآن .. وحين أشيخ أنا ستشيخ معى أحلامى .. وسأرغب فى أن أفهم الحياة أكثر .. أما الآن فدعنا نعش سنوات عمرى المعدودة ..

ثم إنها راحت تتأمل المشاهد على جانب الطريق .. المقدم (ممدوح عبد الوهاب) يتعلق فى سيارة مندفعة

بأقصى سرعة ، ويلوِّى جذعه ؛ ليثب إلى داخلها فيركل السائق فى وجهه ، ويمسك بعجلة القيادة .. ويرفع يده محييًا ..

قال (المرشد) :

ـ هذا هو عالم (المكتب رقـ ....) .

ـ نعم .. (المكتب رقم ١٩) .. هذا هو (ممدوح عبد الوهاب) .. يبدو بالضبط كما رسمه الفنان (إسماعيل دياب) .. .

بعد قليل رأيا عالمًا يسوده الظلام ..

لم يكن هناك سوى سفينة فضاء عملاقة تعبر الأفق .. ومنها خرجت إشعاعات لامعة حادة ، كنصل الموسى .. وراحت تصطدم بأشياء ما فتنفجر ..

ـ ما هذا أيها (المرشد) ؟ :

ـ هذا عالم الفضاء يا فتاة .. عالم المكوكات ، وسفن الفضاء ، وسيوف الليزر .. هذا العالم نُسج من قصص (برادبورى) و (أزيموف) و (كريشتون) و (نهاد شريف) و (رءوف وصفى)..

قالت له فى انبهار :

ـ هل يمكننى أن أجربه هذه المرة ؟

ـ لم لا ؟ أنت سيدة القرار فى (فانتازيا) .

ومد يده يجذب الحبل ..
فتوقف القطار ..

* * *

مشت بضع خطوات على أرض زرقاء اللون ، تتحرك ذرات الغبار تحت قدميها باستمرار ..

وعلى قدميها رأت حذاءين معدنيين براقين ، وأدركت أن جسدها صار مغلفًا بمادة أقرب إلى (فويل) الألومنيوم الذى تستعمله نساء التليفزيون فى الواقع ، لطهى الطعام ..

رفعت رأسها إلى أعلى ؛ لتدرك أين هى ..

السماء سوداء تمامًا تتوسطها أقمار عشرة ترسل ضوءًا غامضًا مكبوتًا ، وثمة ما يحلق فى اتجاه الشـ ... لا .. ليس الشرق .. بل هى لا تدرى كنهه .. كيف يمكن معرفة الاتجاه فى عالم به عشرة أقمار ولا شمس ؟!

واصلت المسير ، ونظرت وراءها فوجدت (المرشد) يلوح بيده مودعًا .. فصاحت به بلهفة :

- من أنا ؟ ألن تضعنى على بداية الخيط ؟!

ابتسم وهو يصعد إلى القطار :

- بلـى .. أنت الأميـرة (كارا) وريثـة عرش (أستوريا) .. أنت تجيدين أشياء كثيرة من بينها القدرة



رفعت رأسها إلى أعلى ، لتدرك أين هي ..

علـى تنفـس (النتروجين) !.. فكهـذا خلـقت الكائنـات الأستورية !

- (نتروجين) ؟ هل تمزح ؟

- ولماذا أمزح ؟ إن المازحين ، هم من لا يملكون سبيلًا آخر لمواجهة الواقع .. أما (فانتازيا) فلا تحوى سوى الحالمين .. ها ها هاه ! » .

وراح القطار يبتعد ، بينما ضحكته تدوى فى مسمعها :

- الحالمين يا فتاة .. الحالمين .. هاهاه ! .

أخيرًا ابتعد (المرشد) ..

لن يكف هذا الرجل عن إثارة دهشتها .. فتارة هو مرح إلى حدّ السفه ، وتارة هو جادّ متحفظ إلى حدّ ثقل الدم ..

لو كان لها سيطرة على جواد خيالها الجامح ، لطلبت تعيين مرشد آخر أظرف قليلًا .. أما وهى مجبرة على تحملـه فلا بأس .. طالمـا هو مفتاحهـا إلـى هذا العالـم الساحر ..

★ ★ ★

أنا (كارا) وريثة عرش (أستوريا) ..

(كارا) وريثة (أستوريا) ..

راحت تردد لنفسها هذه العبارة حتى لا تنساها .. بينما تمشى بصعوبة فوق الغبار الأزرق السميك ..

(كارا) و (أستوريا) .. اسمان لهما رنين (فضائى) حق .. لاتدرى سبب ذلك .. كأن كل كتاب الخيال العلمى اجتمعوا يومًا ما على أن الأسماء الفضائية لن تخرج عن دائرة عشرة أسماء ، منها : (زولتار) - (تيا) - (مايا) - (جالاكتيكا) - (ألفا) - (دلتا) - (كارا) - (أستوريا) - (تيتانيا) - (زيروكس) ..

ويُعاقب من يخالف هذا بالسجن فترة لا تزيد عن خمسة أعوام ، وغرامة لا تتجاوز ألف جنيه !..

جالت هذه الخواطر فى ذهنها - بشكل أكثر تسطيحًا طبعًا - بينما هى تمشى غير عالمة إلى أين ..

وفجأة رأت حشودًا تملأ الأفق ..

حشودًا من رجال يرتدون دروعًا متباينة الأشكال .. بعضهم عمالقة زنوج .. وبعضهم أقزام صفر .. منهم من يحمل سيفًا عملاقًا ، ومن يحمل بندقية غريبة المنظر ، ومن يركب حصانًا ذا أنياب يتصاعد اللهب من منخريه ..

توقفت محاولة البحث عن وسيلة للفرار ..

لكن الرجال هللوا فى صوت واحد متحمس :

- الأميرة (كارا) !.. لقد عادت !!.. هو رررررراه ! .

ورأت عملاقًا مريعًا ذا ستة أذرع يهرع نحوها .. ثم

ينحنى على قدميها هاتفًا ، وقد جعله الانحناء يصير فى مستوى رأسها :

- أنت حية يا أميرة ..!.. حية ! .

فاندلعت طلقات الليزر من البنادق إلى عنان السماء .. وراح الجميع يردد اسمها دون كلل :

- (كارا) .. (كارا) ! .

- كيف فررت من (زولتار) ؟

إذن فهناك - كالعادة - شرير ما يُدعى (زولتار) .. وواضح أنه قد قبض عليها .. ارتجفت هلعًا حين أدركت أن هؤلاء هم (رجالها) .. أى هم الأخيار !

كيف يبدو الأشرار إذن ؟!

سألها العملاق الأصلع بصوته الشبيه ببالوعة تفرغ مياهها :

- لقد خطفك (الحكام) إلى (زولتار) فى السفينة الأم .. وحسبنا أننا لن نراك ثانية .. فكيف نجوت ؟!

لم تدر ما تقول .. فصاحت فى حماس :

- نجوت لأننا على حق ! :

- هو رررررراه ! .

مزيد من طلقات الليزر يتصاعد إلى عنان السماء .. ولم تدر (عبير) إلا وهى محمولة فوق الأكتاف - أكتاف

غريبة فى الواقع ـ وسط تهليل القوم ، وصياحهم ..
ورأت جزءًا من الأرض ينفتح .. ثم درجات سلم تقود إلى أسفل .. أما عن هذا (الأسفل) فقد عرفت وهى تهبط بتؤدة أنها تنحدر إلى نفق عملاق مبطن بالمعدن ..
إضاءة غير معتادة تأتى من لا مكان ..
ورجال أشداء على الجانبين يلوحون بسلاحهم ، ويطلقون صيحات صاخبة ..
إن الأمر ـ خطر لها ـ أقرب إلى معسكر ثوار من نوع ما .. وهذه الحثالة من المخلوقات هى الثوار .. واضح أنهم شديدو الفظاظة ، يعيشون حياة لا توصف فى قسوتها ..
وأدركت أن إيمانهم بشخصها يوشك أن يكون مطلقًا .. الحب والود يكسوان الوجوه المريعة ذات الأعين الست والأفواه السبع .. وثمة وحش ذو نابين طويلين يمزقان شفته السفلى يرمقها فى حنان غريب !..
تبًا لـ (دى ـ جى ـ ٢) من (كمبيوتر) مريض نفسيًا مشوش الخيال !
وفى نهاية الممر رأت مقعدًا عاليًا عن الأرض ، لا يقف على قوائم .. ولكن على نفاثات أربع ترفعه إلى أعلى طيلة الوقت ..

وأدركت أن هذا نوع من العروش ، عليها أن تعتليه لتصدر من فوقه أوامرها إلى هذا الجمع ..

دنت منه .. فهبط منحدرًا ببطء إلى الأرض .. جلست بتؤدة عليه ، وشعرت بنفسها ترتفع ببطء .. ببطء ..

راحت ترمق الجمع عاجزة عن تقرير الخطوة التالية ..

وهنا دنا منها الرجل إياه ذو الأذرع الستة .. وبصوته البالوعي هتف :

ـ أما وقد عادت الأميرة لقيادتنا ، فلم تعد هناك سلطة ما لـ (كوزموس) .. والطاعة كل الطاعة لأميرتنا ..

من هو (كوزموس) هذا ؟

لم تنتظر طويلًا لتعرف ، لأنها رأت رجلًا فارع الطول يرتدى عباءة سوداء ، وله أذنا وطواط ، وعينا نمر ..

كان يقترب من مكانها فى تؤدة .. ثم مد يده ليجرد شيئًا من نطاقه .. شيئًا له شكل السيف ، ووهج شعاع الليزر ..

كان سيف ليزر بالفعل :

ـ قد عدت يا أميرة .. فمرحبًا بك ..

ودار بالسيف نصف دورة فى الهواء .. وأردف :

ـ إلا أن الأمور لم تعد كما كانت .. فأنا قد صرت زعيم الثوار .. وهم قد ارتضونى زعيمًا .. ولن أترك

موضعى من أجل الأميرة (كارا) إلا حين أعرف يقينًا أنها الأميرة (كارا) ! .

تصاعدت أصوات الرجال المندهشة :

ـ ماذا تعنى ؟ ماذا تعنى ؟

ابتسم ابتسامة شيطانية ، ولوح بالسيف :

ـ أعنى أن (زولتار) قد يرسل لنا نسخة مزيفة من الأميرة .. ودليلى على هذا شيء واحد .. هو أن أحدًا لم ينج يومًا من قبضة (زولتار) .. والثقوب السوداء تعج بجثث ضحاياه ..

قال الرجل مسدس الأذرع :

ـ حقًا تقول .. إن قاموس المتعاملين مع (زولتار) لايحوى لفظة (عائد) و لا (ناج) و (فاز) ..

قال رجل هلامى الشكل ، وقد بدت الحيرة على ملامحه (إذا كنت رأيت طبق جيللى يشعر بالحيرة) :

ـ هل تعنى أنها (أندرويد)(*) ؟

ـ لا ..

ـ إذن هى صورة هولوجرافية(**) ؟

ـ لا ..

ـ ربما هى (روبوت) كامل ؟

(*) شبيه الإنسان .

(**) صورة ثلاثية الأبعاد .

- لا ...

ثم إن (كوزموس) استدار ليرمق الأميرة - (عبير) - فى خبث .. وغمغم بكلمات متباطئة :

- إن (زولتار) يجيد صنع الـ (كلون)(*) .. يكفيه أن يحصل على قطرة من دم الأميرة يحلل كروموزوماتها بالكمبيوتر .. ثم بوساطة الهندسة الوراثية ينقل صفاتها إلى جنين .. ويعجل نمو الجنين خلال أسبوع ، ليصير فتاة بالغة رشيدة كهذه ، يمكنها خداع الجميع !

- الويل !

تساءل العملاق مسدس الأذرع وهو يحك رأسه :

- وكيف نتأكد ؟

دنا (كوزموس) من الأميرة أكثر ، وبأدب مصطنع قال :

- اغفرى لنا حذرنا يا أميرة .. إن التعامل مع (زولتار) يحتاج إلى ما هو أكثر من الحذر .. سأسألك سؤالاً يحدد لنا حقيقتك .. فإن أجبته ضمنت ولاءنا .. وإن فشلت ..

وصمت .. لكن صمته كان بليغًا أكثر من اللازم ..

ثم رفع رأسه فى تؤدة .. وسألها :

- ما هى الجروح الموجودة فى جسدى .. ومتى أصبت بها ؟!

* * *

(*) نسخة جينية .

٣ ـ غـــارة ! ..

ـ ما هذا السؤال السخيف يا (كوزموس) ؟

صاح ذو الأذرع الستة فى غضب ، وهو يبصق على الأرض .. التفت له (كوزموس) وابتسم نفس البسمة السمجة من جديد :

ـ بالعكس يا أخى (ميجا) .. لو أن (زولتار) قبض على الأميرة لا نتزع منها عشرات الأسرار بخصوصنا .. لكنه بالتأكيد لن يسألها عن شىء تافه كهذا .. شىء تصفه أنت نفسك بالسخف ...

ومطّ عنقه كعنق ثعبان .. وغمغم :

ـ أما الأميرة (كارا) الحقيقية فقاتلت معنا .. وتعرف كيف وأين ، ومتى جرح كل رجل من رجالها .. ولن تعجز عن إجابة سؤال كذا ...

والتقت عشرات العيون فوق وجه (عبير) الممتقع ، على حين أردف (كوزموس) سائلًا :

ـ هلا أجبتِ سؤالى يا أميرة ؟!

★ ★ ★

يا له من مأزق !..

★ ★ ★

بعد ثوان من صمت ، بدت كقرون ، قالت (عبير) بصوت ثابت :

- إنك لتلح لجاجة لا أحمدها يا (كوزمـــوس) .. ولا أخالك إلا متحملًا جزاء وقاحتك لو أثبت أنني الأميرة الحقيقية ..

هز رأسه في تحد :

- أقبل عواقب إصراري ...

بنفس الصوت الثابت قالت :

- إذن أنت لا تحمل في جسدك جروحًا .. إن جسدك ناعم ، كجسد طفل ؛ لأنك جبان يا (كوزموس) .. جبان !

★ ★ ★

كيف حدث هذا ؟

لا تعرف بالضبط .. لكن شيئًا ما أوحى لها بالإجابة الصحيحة .. كأن صوتًا دوى في عقلها يخبرها بالإجابة .. وهو - حتمًا - ليس صوت (شريف) الذي اعتاد مخاطبتها بعد (الهنابسنة) كما يقولون ..

إن لها - في هذا العالم الشاذ - ملاكًا حارسًا دون شك .. وأفاقت من خواطرها على صراخ (كوزموس) إذ انقض

عليه الرجال يمزقون ثيابه ، ليقف شبه عار وسطهم ، وقد فقد كبرياءه أو أكثرها .. وراحوا يبحثون عن الجروح ، أو الندوب في جسده فلم يجدوا .. اللهم إلا جرحًا صغيرًا في أعلى عنقه ..

صاح (كوزموس) محاولًا التملص :

ـ هل رأيتم ؟ هو ذا جرح في عنقي لم تعرف هي شيئًا عنه !!

تأمل الرجل الهلامي الجرح .. وهتف :

ـ إنه (يبلف) يا إخوان .. هذا الجرح ناتج من موسى الحلاقة ! .

قال رجل آخر :

ـ حقًا .. فـ (كوزموس) من قبيلة رفضت حرق شعيرات الوجه بالليزر كما نفعل نحن ، حتى لا تنمو لحانا ثانية .. إنه يحلق ذقنه كل صباح بطريقة بدائية .. .

هنا صاحت (عبير) وقد حركها الإلهام ثانية :

ـ ترون يا إخوان .. الرجل كان يتوقع أنني لن أعود .. فلماذا ؟ لأن سادته ، أكدوا له أن الأميرة (كارا) لن تعود .. وصار هو سيد مصيركم يحرككم كما يريد (الحكام) ..

إلى (كوزموس) تقدم الرجل سداسي الأذرع .. ورفعه

إلى أعلى بذراع .. وسلط سيف الليزر على عنقه بذراع .. وكبل ذراعيه بذراع .. وفتش نطاقه بذراع .. ولكمه في أنفه بذراع .. وبالذراع السادس راح يحك قفاه هو نفسه .. وقال :

ـ أهذا صحيح يا (كوزموس) ؟!

لم يرد (كوزموس) .. فواصل لكمه في أنفه :

ـ أهذا صحيح ؟

ـ آى !.. نعم .. صحيح !..

ومسح الدم الذى سال من أنفه .. وأردف :

ـ إن (جالاكتيكا) تعرف كل شيء عنكم .. كل رجل هنا له ملف إلكترونى كامل هناك .. بل إنهم دربوا ألف جهاز كمبيوتر ؛ ليفكر مثلكم ، ويتصرف مثلكم .. ولهذا يعرفون نواياكم قبل أن تفكروا فيها .. يا إخوان .. إن (جالاكتيكا) لاتقهر .. ولسوف تمتد سيطرتها إلى أطراف الكون جميعًا .. ويومها سيصلب كل واحد منكم فوق شهاب ، ولسوف يرتجف المسافرون في الفضاء حين يرون ما سيصيرون إليه ، كلما مرّ شهاب جوار نوافذ مكوكاتهم ... ولسوف ينتزعون قلوب أحفادكم وأحفاد أحفادكم .. ولسوف ....



وقبل أن يصل إلى الأرض استقبله بطعنة من سيف الليزر . .

كان هذا كافيًا ؛ لأن سداسى الأذرع طوح بـ (كوزموس) فى الهواء .. وقبل أن يصل إلى الأرض استقبله بطعنة من سيف الليز .. وكان التأثير عجيبًا يوشك أن يكون فاتنًا ..

فجأة تحول لون (كوزموس) إلى الأزرق ، ثم راح يضىء من الداخل كمصباح (النيون) .. ثم مال إلى الانطفاء وهوى أرضًا .. ليتحول إلى كومة من الغبار الأسود الذى يلتمع بعضه .. بعدها خبا كل شىء ...

هتفت (عبير) فى انبهار :

ـ رائع !.. مبهر !

ثم تذكرت أنها يجب أن تلقى الموت بشىء من الاحترام الواجب له ، وأن الأميرة (كارا) المفترض أنها قد تعودت رؤية هذه الأشياء .. من ثَمّ عادت إلى وقارها ...

وهنا دوّى صوت فى مكبر صوت آتٍ من مكان ما :

ـ طائرات (جالاكتيكية) .. طائرات (جاكلاكتيكية) تدخل نطاق المجرة .. انتبهوا ..!

تصايح الرجال وهرعوا إلى جوانب الممر ..

ومن السقف تدلت كشافات تشبه (السبوت لايت) التى كانت تراها فى واجهات المحلات فى عالمنا ، ورأت شعاعًا ما ينبعث من تلك الكشافات ..

فى اللحظة التالية رأت سفن فضاء صغيرة الحجم ..

سفنًا مجسمة تمامًا ، حتى إنك تستطيع لمسها ، وهذه السفن كانت تطير فى تشكيل مثلث فى فضاء القاعة مخترقة سحبًا من الغبار الكونى ..

أدركت أنها ترى صورة رادار مجسمة للطائرات المغيرة .. كلها طائرات ـ أو سفن فضاء ـ سوداء ذات منظر غير مبهج على الإطلاق ..

ودنا خمسة من الرجال من مسرح الرادار ، وراحوا يتجادلون حول مواقع الطائرات وسرعاتها .. وأخرج أحدهم قلمًا مضيئًا صوبه نحو إحدى الطائرات فتألقت بضوء فوسفورى ..

قال محدثًا شخصًا ما بالطابق العلوى :

ـ إنها من طراز (إف ـ ١٦٠٠) .. السرعة ٥٠٠ سنة ضوئية فى الدقيقة .. محرك بيولوجى .. قنابل (ماكسيما) ..

دوّى الصوت من أعلى :

ـ إذن هلموا .. يا للكارثة ..!.. محرك بيولوجى ؟ إننا لم نتعامل إلا مع محركات هيدروجينية .. ثم قنابل (ماكسيما) سينفجر كل هذا الكوكب إلى الداخل ويتحول إلى ثقب أسود معدوم الكتلة !

كانت (عبير) ترمق كل هذا في حيرة .. تشعر بأن عليها أن تقول أو تفعل شيئًا لكنها لم تدر ما هو ..

ورأت الرجال يركضون نحوها ، وقد ارتدوا ثيابًا شبيهة بثياب الطيارين .. خوذة وقناع الأوكسجين - بل (النتروجين) - وبذلة معدنية ... ورأت أولهم يدنو منها .. فيجثو على ركبتيه ويحرك رأسه ذات اليمين وذات اليسار .. ثم ينقلب على ظهره ، ليحرك رجليه في الهواء كذبابة تحتضر .. وهو يردد :

- القلب لـ (كارا) .. والروح لـ (كارا) .. سيدة الأقمار العشرة ..!

ثم يأتي بعده واحد آخر .. ويكرر ما فعله ..

أدركت أن هذا نوع من (طلب البركات) أو التفاؤل .. نوع من الطقوس الروحية تؤهل المقاتلين للفداء .. لكن الوقت ضيق بالنسبة إلى هذا الكلام الفارغ .. يا للسخف !..

حين تمرغ الطيار الأخير أمامها كان نصف ساعة قد مرّ ... وهرع المقاتلون إلى الفتحات الجانبية ، وسمعت هديرًا ..

وعلى مسرح الرادار المجسم ؛ رأت طائرات زرقاء تشبه الأزرار .. تنطلق في تشكيل طولي ؛ لتعترض طريق الطائرات السوداء .. مشهد غير عادي !.. كأنها مجموعة

من طائرات الأطفال تتقاتل فى سماء القاعة .. لكنها كانت تدرك أن هذا المشهد يتكرر على نطاق هائل فى الفضاء المحيط بالكوكب ..

من الطائرات السوداء تنطلق خطوط مضيئة تهاجم الأزرار الزرق .. فيدوى انفجار .. ويتناثر اللهب فى كل مكان ..

صورة مجسمة إلى حد لا يصدق .. لدرجة أن شظية مشتعلة هوت فوق يدها فلسعتها ..!.. إذن هى ليست مجرد صورة مجسمة ..

رفعت عينيها ترمق ما يدور .. وأدركت أن كفة الثوار ليست هى الراجحة .. فالطائرات السوداء تقاتل كالشياطين ..

كانت القاعة شبه خاوية الآن إلا من عشرة رجال يراقبون المعركة .. ويشيرون بالقلم المضىء إلى طائرات ما ... على حين راح الصوت يهدر من أعلى :

ـ (ألفافيل) .. خذ الحذر .. هناك (إف ـ ١٦٠٠) عند مؤخرتك .. عند الساعة السابعة .. أحمق !.. لقد أنذرتك .. مت بجهلك إذن .. (ألفازد) .. حاول التملص من هذا الوغد .. لاتقترف خطأ (ألفافيل) ..

نظر الرجل ذو الأذرع الستة نحوها .. وغمغم :

- أن (زيروكس) يؤدى عمله .. لكنه بطيء الاستجابة للمؤثرات :

- (زيروكس) ؟

- نعم .. جهاز الكمبيوتر الخاص بالتنبؤ بنتائج المعارك .. لكن ذاكرته قد صارت مكتظة وبالتالى بطيئة .. لقد تجاوزنا ٢٥٦ ميجا ميجا بايت .

كانت تذكر شيئًا عن هذا ، منذ كانت تعمل فى مكتب كمبيوتر .. لهذا سألته وهى ترمق المعركة :

- لماذا لم تزيدوا سعة الذاكرة ؟

- إن هذا يكلف مالًا كما تعلمين .. وقد تجاوزنا فترة الضمان !

- فهمت ..

وهنا ازدادت المعركة حدة .. وبدأت كفتها ترجح ، ليس لصالح الثوار طبعًا ..

وسمعت (عبير) ذا الأذرع الستة يغمغم وهو يتأمل الشاشة :

- غريب هذا .!. لقد عبروا من ثقب حزام الطاقة .. الحزام الذى فتحناه ، لنسمح لمكوكك بالدخول ..

وهنا اقتحم رجل ـ يشبه الخرتيت ـ الغرفة ، وحسبته (عبير) يهم بمهاجمتها ، ثم أدركت أنه (حليف) إذ صاح :

ـ يا أميرة .. نحن لم نعد نضمن سلامتك .. وأرى أن تغادرى الكوكب حالًا ؛ لأن نتيجة المعركة لا تبشر بخير ..

ـ ولكن ....

ـ هيا .. لا وقت للتردد ..

وجذبها من ذراعها ، وراح يركض وهى تركض خلفه .. بينما راحت الأرض تهتز ، والانفجارات الزرقاء والحمراء تتناثر حولهما ..

وأخيرًا ـ فى قبو منحدر ـ وجدت (عبير) مكوكًا فى حجم السيارة ، وعرفت أن عليها أن تدخله وتغلقه عليها .. ثم تنطلق .. إلى أين ؟ لا يهم الآن .. المهم أن تبتعد قبل أن ...

فهاااااام !.. انفجر الرجل فتناثرت أشلاؤه الإلكترونية فى المكان .. من ثم وثبت (عبير) إلى المكوك .. جذبت المقبض فانفتح .. دخلته فانغلق الغطاء وراءها ..

كيف يتحرك هذا الشىء ؟

قنبلة تنفجر على يمين المكوك ...

المفترض أن تجد نفسها تجيد القيادة، كما حدث حين كانت جاسوسة ..

قنبلة أخرى على اليسار .. تبًا !..

مئات الأزرار تتراص في غباء أمامها ككتلة من غموض ..

اللعنة ..!.. أين ......؟

هي ذي ضربة مباشرة أمامها ...

والضربة التالية كانت أكثر قربًا ......



٤ ـ جالاكتيكا ..

كان العرق البارد يغمر وجهها ، ويسيل على عنقها ..
مستحيل أن يكون كل هذا وهمًا ...
إنها توشك أن تموت رعبًا .. ولو ماتت لانتهى كل شىء ..

★ ★ ★

وهنا رأت على الشاشة الصغيرة الموجودة على التابلوه أمامها وجه فتاة .. فتاة حسناء ، لكنها باردة ثقيلة الظل ميتة العينين .. وسمعت صوتها .. وأدركت أنها تكلمها هى .. فليست مذيعة تلفزيون إذن .. لنر ما تقول :
ـ مرحبًا يا أميرة .. أنا (أوميجا ـ ٣) الملاح الخاص بك ..
ـ لـ .. لكنك فتاة ..
ـ آه !.. هذا هو الشكل الذى اختارته (وحدة الفيديو الرقمية) لمخاطبتك .. والآن لنر ما هنالك .. يبدو لى أنك فى ورطة معينة ..
ـ نعم .. نعم .. لم يخنك حدسك يا آنسة (أوميجا)..

- جميل .. أرى أن نسارع بالإقلاع إذن .. ثم نثرثر بعد ذلك :

- قرار صائب ..

وفى اللحظة التالية مال المكوك ؛ لترتفع مقدمته إلى أعلى .. وهدرت محركاته .. ورأت (عبير) السقف ينفتح كاشفًا عن سماء سوداء تحلق فيها أجسام سوداء تبعث اللهب حولها ...

ثم انطلق المكوك كالقذيفة عبر الفتحة ...

* * *

ومن وراء الزجاج رأت (عبير) الطائرات السوداء التى كانت تراها بالرادار المجسم .. ولكن بالحجم الطبيعى هذه المرة ، فقد كانت الأخت (أوميجا - ٣) تمرّ بينها الآن ..

وارتجفت إذ ترى ثلاثًا منها تدور فى منحنى غير معقول هندسيًا ولا فيزيائيًا ، ثم تلحق بها مكونة شكل رأس الحربة ..

- (أوميجا) !.. افعلى شيييئًا !

بنفس البرود قالت (أوميجا) وهى تبتسم :

- إنه التشكيل المحبب لدى مقاتلى (جالاكتيكا) .. ثلاث طائرات .. ثلاث قذائف تتلاقى جميعًا عند الهدف .. إن هذا يجعل نسبة الإصابة ٩٩,٩٩٣٤ ٪ ..

ـ وهل هذا يثير بهجتك ؟

ـ أنا كمبيوتر .. ولا شيء يبهر الكمبيوتر سوى الدقة .. وعلى كل حال أرى أنهم يكتفون بملاحقتنا ولا يطلقون شيئًا ..

ـ هذا مريب ..

ـ حقًا .. لكنه إيجابى لمتوسطات العمر ..

من الزجاج ترى (عبير) أن الأعداد المحيطة بها من الطائرات تتزايد بشكل مطرد .. حوالى ثلاثين طائرة تحيط بالمكوك الآن ، والأمر لم يعد مطاردة قدر ما صار موكبًا ..

نظرت إلى الشاشة باحثة عن إجابة لدى الكمبيوتر :

ـ (أوميجا) .. لماذا يفعلون ذلك ؟

وفجأة تلاشت صورة الفتاة ، لتحل مكانها صورة لوجه رجل مشعث ملتح ، فى عينيه شراسة واضحة ، لكن حركته المتقطعة غير السلسة أكدت لها أن هذا كمبيوتر آخر ..

ـ مرحبًا يا أميرة .. أنا (إبسلون) الكمبيوتر المكلف بالسيطرة على هذا المكوك لأصحبك إلى (جالاكتيكا) ..!

(جالاكتيكا) ؟ يا للمصيبة !.. إذن هى فى قبضتهم ثانية !

ـ ولكن ...

ابتسم الوجه فى ثقة .. وغمغم :

ـ لا مشاكل هنالك .. إن كتيبة المقاتلات (إف ـ ١٦٠٠) تحمينا ؛ حتى نصل إلى هناك ، وحتى أكسر الملل سأعرض عليك نتائج حملتنا الموفقة على كوكب المتمردين ..

المتمردين ؟ بالطبع .. دائمًا هناك حكام وثوار .. الثوار يسمون الحكام بـ (الطغاة) .. والحكام يسمون الثوار بـ (المتمردين) .. وعلى الشاشة راحت ـ فى هلع ـ ترقب خرابًا كخراب (سدوم) .. الأرض نفسها تحولت إلى حفرة كبيرة .. واختلط الغبار الأزرق بأسنان وأنامل من كانوا ثوارًا منذ نصف ساعة .. ورأت كتلة مشتعلة لها ذراعان وساقان تتلوى باحثة عن مفر ..

الجديد أنها قرأت شعار CNN عند ركن الشاشة الأيسر ..

ـ أنها لمجزرة !

ـ بل هى جراحة ضرورية لاستئصال ورم خبيث ..

ومن النافذة ترى (عبير) كوكبًا يتألق فى ضوء النجوم .. كوكبًا من المعدن كله ، حوله ، ومنه ، وإليه تحلق

السفن ، والصواريخ ، والمكوكات ..، وكان هناك كوكب صغير يشبه الكشاف يدور حوله متألقًا لامعًا .. أدركت أنه نوع من الشمس الصناعية صنعها (الحكام) لتدور حول كوكبهم التخليقى ..

قال الكمبيوتر :

ـ مرحبًا بك فى (جالاكتيكا) .. إمبراطورية المجرات ..

ثم راح كمضيف طائرة يقرأ لها درجة حرارة الجو .. والرطوبة .. إلخ :

ـ لا تنسى الحذاء الممغنط .. إن (جالاكتيكا) بلا قوة جاذبية كما تعلمين .. وكذلك قناع (النتروجين) .. فـ(جالاكتيكا) لا تملك غلافًا جويًا .. وعلى كل زائر أن يحمل معه (غازه) ..!

ـ غازه ؟

ـ حتمًا .. أنت والجميع تتنفسون (النتروجين) .. كائنات (بلغور) لا تتنفس إلا (الميثان) .. كائنات (كاليا) تتنفس (الزينون) .. كائنات (فيدرا) لا تتنفس أساسًا .. بل إن هناك ـ تصورى هذا ـ كائنات فوق كوكب الأرض تتنفس (الأكسجين) !!

- يا لشذوذ الذوق !

- لكن هذا يمنح الكون القدرة على الاستمرار .. ولولا غازات البطن التى تخرج من سكان (بلغور) لما وجد سكان الأرض أكسجينًا ؛ ليتنفسوه ..!.. والآن .. هيا .. ستجدين كل شيء تحت تابلوه القيادة ..

- وكيف عرفت ؟

- أسئلتك غريبة .. بالطبع ؛ لأن كل هذه المكوكات تحوى ذات الأشياء .. هيا .. ارتدى ثيابك ..

- لن أفعل هذا أمامك !

- غريب !.. قلت لك : إننى صورة كمبيوتر .. ربما أبدو وقحًا أو سمجًا لكن لاذنب لى فى ذلك .. وعلى كل حال سأظلم الشاشة لمدة دقيقتين تستعدين فيهما ..

وأظلمت الشاشة فمدت (عبير) يدها باحثة تحت التابلوه ، حتى وجدت خزانة بداخلها بذلة ذات ملمس كملمس ثعبان .. وحذاءان غريبا الشكل ، وخزانة عملاقة تثبت على الكتفين تخرج منها خوذة من البلاستيك الشفاف المرن ..

بحذر راحت ترتدى هذا كله ، ووجدت فى نطاق البذلة عدة صمامات كتب على كل منها اسم غاز : (نتروجين) -



بحذر راحت ترتدى هذا كله ، ووجدت فى نطاق البذلة
عدة صمامات ..

(أوكسجين) - (أول أوكسيد الكربون) - (ميثان) - (زينون) - (هليوم) .

فضغطت على زر (النتروجين) كما علمها (المرشد) .

هنا عاد وجه (إبسلون) الوقح على الشاشة :

- هل فرغت يا (أميرة) ؟ رائع !.. والآن نحن ندخل مجال (جالاكتيكا) الثالث ..

* * *

كل شيء معدني .. البنايات .. الشوارع .. الناس ..

وها هي ذي تنحدر إلى أسفل ، والدخان يتصاعد حول المكوك ، ليستقر ببطء فوق رقعة مرسومة على الأرض باللون الأبيض .. ورأت رجلًا يدنو منها حاملًا قطعة قماش في يده :

- هل ستتأخرين يا آنسة ؟.. غسيل ؟!(*) .

هزت رأسها أن لا وهي تمدد جسدها خارجة من المكوك .. وكان هناك رجل يحمل دفترًا ويخاطب رجلًا آخر في مكوك أنيق الشكل :

(*) ملحوظة : في كوكب دون غلاف جوي لا يمكن انتقال الصوت ، لكننا في (فانتازيا) حيث كل شيء ممكن ، أو كما يقول التعبير العامي : « هيَّ جت على دي ؟ » .

ـ هذه الرخصة لم تجدد .. أنت فى مشكلة يا صديقى !

ورأت رجلًا يتلفت حوله ، ثم يهشم زجاج أحد المكوكات الواقفة وينتزع من داخله شاشة الكمبيوتر ، ثم يولى الأدبار حاملًا غنيمته ..!..

وفجأة وجدت ستة رجال يحملون البنادق ، ويرتدون خوذات ، يبدو من مظهرها أنهم رجال شرطة ..

دنوا منها .. وقال لها أولهم بلهجة رسمية :

ـ الأميرة (كارا) .. إن (زولتار) ينتظرك !!

يا للهول ..!.. (زولتار) شخصيًا ينتظرها ..

ابتلعت ريقها ولم تدر ما تقول .. إن الفرار من هذا العالم لهو محاولة انتحار .. كيف فرت أول مرة ؟ يبدو أن ذلك الوغد (كوزموس) كان على شىء من صواب ..

فى صمت مشت بين صفوفهم عبر الشارع المعدنى ..

ورأت شيئًا يشبه كابينة الهاتف ـ لكنه أكبر حجمًا ـ فى نهاية الطريق .. وانفتح الباب فدخلت مع حراسها ..

ضغط أحدهم بعض الأزرار ، وفى اللحظة التالية تلاشى الشارع المعدنى والكابينة من حولها ..

وأدركت أن هذا هو جهاز (الناقل) الذى ينقل الجزيئات

عبر المسافات .. كل روايات الخيال العلمي جعلته يبدو ككابينة الهاتف .. ويبدو أن لهذا قوة القانون ..

★ ★ ★

قاعة طويلة رهيبة تتوسطها مائدة عملاقة ..

على المائدة يجلس عشرة أشخاص يرتدون السواد .. وعيونهم تلتمع حدة وتشككا .. وجميعهم ينظرون نحوها ..

وعند طرف المائدة يقف رجل فارع القامة ، على وجهه قناع عبارة عن تراكيب معقدة من الخراطيم ، وأجهزة التهوية والكشافات الصغيرة ..

وأدركت أن هذا هو (زولتار) ..

قال الرجل بصوت عميق رنان آلىّ إلى حد ما :

- مرحبًا يا (ليا) .. تقدمى .. إن الحكام العشرة ينتظرونك .. انزعى قناعك فالجو يغص بالنتروجين ..

(ليا) ؟ هذا غريب !.. هل هى (كارا) أم (ليا) ؟ على كل حال ليس أمامها سوى أن تصدع بالأمر ..

نزعت قناعها ، وهزت رأسها يمينًا ويسارًا ؛ ليتساقط شعرها على الجانبين .. ثم تقدمت فى وجل من المائدة ، ووقفت جوارها ..

قال (زولتار) :

ـ عمل مجيد هو ما قمت به يا (ليا) .. لقد خدعت المتمردين وجعلتهم يتوهمون أنك أميرتهم (كارا) التى قتلناها منذ أسبوع .. لقد أجدت لعبتك .. ولكن حماقة (كوزموس) الذى رغب فى الحكم كادت تفضح أمرك .. لولا أن لقنك جهاز الكمبيوتر (يونيفرس) الاجابات الصحيحة ، ولقد نسى المتمردون حزام القوة مفتوحًا بضع دقائق .. لكنها كانت كافية ، كى تتسلل مقاتلاتنا منه ..

وأشار إلى خريطة على الجدار ، وقال :

ـ صحيح أننا نبدهم تمامًا .. فقد تمكن بعضهم من الفرار .. لكن هذه ضربة قاصمة لهم .. وسيحتاجون إلى وقت ثمين ؛ ليحشدوا قواهم ..

ابتلعت (عبير) ريقها .. إذن فهذه هى الحقيقة .. لم تكن أميرة الثوار .. بل جاسوسة الحكام ، وكانت مخلب قط طيلة الوقت .. وهى المسئولة بالكامل عن هذه المذبحة ..

لهذا اكتفت المقاتلات بحراستها ولم تهاجمها ..

يا للعار !.. يا للخزى ..!

وهنا رفع أحد الجالسين يده إلى أعلى وكور قبضتها ..

وعوى كالذئاب ... فقال (زولتار) :

- الحاكم (بنتا) يطلب الكلمة .. قل ما عندك ..» .

نهض (بنتا) وضم عباءته إلى جسده .. وهتف :

- المجد لك أيا (زولتار) .. إن حكمتك لأوسع من فهم الحكام .. لكن هذه الفتاة لم تؤد لك تحية الإمبراطورية ..

التفتت العيون كلها إلى (عبير) ، ونظر (زولتار) نحوها برهة .. ثم إنه غمغم في شرود :

- حقًا ؟ ما كانت (ليا) لتنسى هذا !!

في تعصب هتف (بنتا) :

- أخال المتمردين قد كشفوا مؤامرتنا القذرة ، وأرسلوا لنا نسخة مزيفة من (ليا) لتتجسس علينا .. ربما كانت (أندرويد) . فالمتمردون يجيدون عمله .. يجب أن نثبت شخصيتها !

نظر (زولتار) إلى (عبير) .. وبهدوء قال :

- هذا ليس عسيرًا .. إن (ليا) تعرف عدد أسناني المسوسة .. فهل لك أن تذكري لي عددها يا (ليا) ؟!

* * *

٥ ـ السجن ـ المثقب ـ وأشياء أخرى

في هذه المرة لن تكون هناك إيحاءات خفية قادمة من مكان ما .. مادام (زولتار) هو صاحب هذه الإيحاءات ..

يا له من مأزق عسير ..!

* * *

رفعت عينيها ببطء نحو (زولتار) .. وقالت :

ـ ضرسان مسوّسان !

ـ فقط ؟

ـ ضرسان وناب ؟

ـ ربما أربعة ؟

ـ لا .. ولكن .. نعم .. أربعة .. ضرسان ونابان ..

راح الرجل يضحك .. يقهقه .. ومعه قهقه الحكام العشرة الجالسون .. وأدركت (عبير) أن الإجابة خطأ ..

قال (زولتار) حين استعاد تنفسه :

ـ الواقع يا صغيرة أنني لا أملك أسنانًا مسوسة .. لا أملك أسنانًا على الإطلاق .. بل أنا بدون رأس أساسًا .. هذا القناع يؤدي لي ما يؤديه الرأس .. أما (زولتار) فكتلة من طاقة ..

وأردف وهو يضغط زرًا أمامه :

ـ الآن نعرف يقينًا أنك لست (ليا) .. أنا كنت أحب (ليا) كثيرًا ... ولسوف تفسرين لنا ما حدث لها ... بعدها نقوم بتهشيم جسدك لمعرفة هل أنت (أندرويد) أم (روبوت) أم (كلون) ؟

ـ ودخل القاعة عشرة رجال مدججين بالسلاح ، وعلى وجوههم خوذات ، وأقنعة الشرطة ، فأشار لهـم أن يصحبوها :

ـ خذوها إلى حجرة الأكسجين ..

ووجدت (عبير) نفسها تمشى بين الحراس مغادرة القاعة .. ولم تنظر وراءها ، لترى جلاديها ..

★ ★ ★

كانت حجرة الأكسجين حجرة معدنية ملساء ملأى بالصمامات ، وعلى الجدار وجدت (عبير) عبارات من نوع :

الموت لـ (زولتار) ..

تسقط (جالاكتيكا) ..

فلتحى الثورة ..

وواحد أكثر ميلًا للثرثرة كتب على الجدار المعدنى :

- إننى أختنق .. الموت للحكام ولـ (زولتار) .. ولكم جميعًا !

جلست على الأرض ، وراحت تنتظر ..

بعد هنيهة أدركت أنها موشكة على الاختناق ..

بالتأكيد ..!.. ألم يقل (زولتار) : إن هذه هى حجرة (الأكسجين) ؟

ألم يقل (المرشد) : إنها صارت كائنًا نتروجينيًا ؟

إن هذه الغرفة - إذن - هى البديل الفضائى لحجرة الغاز الشهيرة .. ويبدو أن مغامرتها تدنو من نهايتها ..

وفى وسط الغرفة وقف (زولتار) يرمقها فى حدة ، عاقدًا ذراعيه على صدره .. وبصوت عميق سألها :

- ماذا حدث لـ (ليا) ؟

جاهدت كى تتنفس ، وبصعوبة استطاعت أن تسأل :

- كـ .. كيف تتنفس أنت ؟

- أنا لست (زولتار) .. أنا صورة هولوجرافية مكلفة بالاستجواب .. ولا داعى لمزيد من العنف .. إن الأكسجين سيذوب فى دمك .. ويتحول إلى فقاقيع كماء يغل .. عندئذ تنزف شبكيتك وكليتك وتنسد شرايين فمك ..

ورفع أصبعه السبابة منذرًا :

- كل هذا لو لم تصارحيني : أين (ليا) ؟
- لا .. لا ..أم .. أعرف .....
- إن هذه هي الإجابة الخطأ ..
تكذب ؟.. لم لا ؟.. إن هذا لن يضاعف عذابها ... إن نهايتها محددة على كل حال ..
- لـ (ليا) الآن في كوكب المتمردين ..!
- ولماذا لم يجدها رجالي ؟
- لأن .. لأنهم داروها في أعماق الكـ.. الكوكب بعيدًا عن هجوم .. إفتـ.. افتراضي ..
هز رأسه في شك ..
مد يده إلى نطاقه وأخرج شيئًا يشبه القلم .. ذا رأس متألق ، وصوبه عليها بضع ثوان ..
ثم غمغم وهو يعيده لنطاقه :
- غريب !.. أنت تتألقين بلون أخضر .. جهاز كشف الكذب يقول: إنك صادقة .. ولعمرى هذا يخالف اعتقادى .. يخيل إلىّ أن جهاز كشف الكذب هو الآخر كاذب .. لكنى سأنقلك الآن إلى معمل الفحص .. لن أتعجل تشريحك قبل أن يفتش رجالى كوكب المتمردين بعناية .. من يدرى ؟ لربما احتجنا استجوابًا آخر ..
وفى اللحظة التالية تلاشت الصورة الهولوجرافية ..
كانت قد قرأت لفظة (هولوجرافى) فى مكان ما ،

لا تذكر ما هو ، ولكم تمنت لو تذكرت أين ومتى .. على كل حال هي تعرف أن اللفظة تعنى (شيئا ما) .. لا يهم كنه هذا الشيء .. إنها تتنفس وكفى ..

ولكن - يا لمواهبها الخفية ، - كيف خدعت كاشف الكذب هذا ؟ هي التي لم تعرف أصلا أنه كاشف كذب ...

لقد كان (زولتار) هو ذاته ملاكها الحارس في معسكر الثوار .. فمن هو ملاكها الحارس هنا ؟

★ ★ ★

تبا لمعمل الفحص هذا !..

كان هناك روبوت سمج عبارة عن رأس مزود بكاميرا ، ويدين طويلتين ذاتي كلابات .. حملها وكبلها إلى منضدة تشبه مناضد التشريح ..

ثم راحت عدسات الكاميرا تتأملها عن كثب ، على حين ازدحمت عشر شاشات حولها بصور لهيكلها العظمى .. وصور لأحشائها إذ تعمل .. ورأت - مذعورة - مخها يتألق بضوء فوسفوري أخضر على إحدى الشاشات ..

ثم سمعت الصوت الميكانيكي البارد يدوى :

- النوع أنثى .. نمط التشريح الأولى يدل على أصول من درب التبانة ... دوائر متكاملة ، رقائق بيولوجية :

سلبى .. دم حار خلوى .. نبضات مخية .. النتيجة : سلبى للأندرويد ..

سلبى للروبوت .. ربما هى (كلون) ..

لم تعتد (عبير) أن تعامل بهذه القسوة ..

كأنها سيارة، يتم تقييم كفاءة الموتور الخاص بها بالكمبيوتر ..

على حين عاد الصوت الآلى يردد :

- الرقم البيولوجى للحمض النووى هو (٥٤٨١٧٩٤).. نكرر .. الرقم البيولوجى هو (٥٤٨١٧٩٤) ..

هنا دوى صوت شبه آدمى يتساءل :

- غريب هذا يا (بونيفرس) !.. إن هذ الرقم عتيق جدًا .. لم تعد هناك أرقام بيولوجية مماثلة إلا فى مومياوات الأرضيين ..

- أنا لا أخطئ يا (زيبرا) .. هذا الكائن منقرض أساسًا .. وعلى كل حال هو لا يمت بصلة لـ(ليا) .. لقد كان الرقم البيولوجى لهذه الأخيرة هو (٠٤٧٣٦٥٤٣٦٨٩).

- هذا قريب من الصواب .. فـ (ليا) من كوكبة (القنطورس) .. وكل سكان (القنطورس) يحملون الرقم البيولوجى البادئ بـ (٠٤٧) ....

هنا تصاعد الدم إلى رأس (عبير) ..

فى حنق صاحت محاولة تحرير نفسها :

ـ تبًا لكم !.. هل تتكلمون عن بشر أم عن كود النداء الآلى لستترال (كفر الشيخ) ؟! ألن ينتهى هذا الهراء ؟

دوى صوت الآدمى إياه يسأل الكمبيوتر غير عابئ باحتجاجها :

ـ قل لى يا (يونيفرس) .. نحن بحاجة إلى جزء من المخ !

ـ سمعًا وطاعة يا (زيرا) !

صاحت (عبير) وقد فقدت التحكم فى أعصابها :

ـ مخ ؟!.. عم تتكلمون أيها الحمقى ؟

وهنا رأت ذلك الشىء الشبيه بمثقب طبيب الأسنان ، يتقدم ببطء قاصدًا فتحة أنفها !..

نعم .. هى تعرف أن هذا الطريق يؤدى إلى المخ .. عن طريق الصفيحة المثقبة التى يخرج منها عصب الشم ..

لكن إذا أراد أحد الدخول إلى مخها ، فلن يكون ذلك وهى متيقظة .. وحتمًا لن يكون عن طريق هذه الآلة الحمقاء ..

ـ أيها الملاعين !.

لم يكن هناك ما يتحرك سوى رأسها ، فراحت تطوحه يمينًا ، ويسارًا ؛ لتعقد الأمر على (يونيفرس) ..

ـ الكائن يقاوم .. انتقل إلى التثبيت ..



وهنا رأت ذلك الشيء الشبيه بمثقب طبيب الأسنان
يتقدم ببطء قاصداً فتحة أنفها ! . .

وفوق رأسها نزلت خوذة ضيقة .. ضيقة وثابتة فى موضعها ، بحيث غدا تحريك الرأس مستحيلاً ..

المثقب يدنو من أنفها أكثر .. فأكثر ..

وفى سرها دعت الله أن يكون المهندس الذى صنع هذا الشىء يعرف ما يفعله ..

لو أن هناك ملليمترًا واحدًا خطأ .. فلسوف ...

وشعرت بالشىء يدخل أنفها .. تبًا !.. يا له من شعور مقيت !.. تريد أن .. أن تعطس ..!.. آآآآ تشووووه !..

وهنا كف المثقاب عن الحركة ..

نظرت حولها فوجدت الظلام يسود القاعة ، وكل الشاشات مطفأة .. ولم تعد هناك ضوضاء ولا أحاديث إلكترونية ..

إذن فهذا العصر يعتمد على الكهرباء !

لقد انقطع التيار الكهربى ، كما كان يحدث فى دارها فى (غمرة) ..

وانقطع فى أسخف اللحظات وأسوئها ..

كيف تتحرر من هذا المثقب إذن ؟!

* * *

٦ ـ الجـوّال ..

سمعت صوتًا غريبًا أقرب ما يكون إلى صوت أسلاك يحرقها ماس كهربائى ، وأدركت أن شيئًا ما يحدث .. لكن ما هو ؟

إن هذا الشىء فى أنفها يمنعها من الحركة ..

سمعت أصوات جلبة .. أصوات التحامات .. صوت من يصرخ ؛ كأنما ينتزعون لسانه ..

فى اللحظة التالية اقتحم المكان رجل يرتدى لثامًا ، وثيابًا مبعثرة غير مهندمة ..

ورأته ينحنى ؛ ليفرغ شحنة أخرى من طلقات الليزر صوب الباب .. أصوات صراخ .. ضوء الليزر الأزرق الساطع يغمر المكان لربع ثانية .. ثم رائحة الماس الكهربى إياها ..

يدنو منها .. عيناه الحادتان من فوق اللثام ترمقانها .. ثم :

ـ لا تهابى شيئًا .. سأحررك حالًا !

وصوب السلاح نحو الكلابات المتدلية ، ويضغط الزناد ..

تناثرت الشظايا الملتهبة فى كل مكان ، وعلى المنضدة سالت قطرات من معدن مصهور ..

إن المقتحم ينزع المثقب من أنفها .. ويرميه جانبًا .. بعزم ينهضها .. بثقة يناولها سلاحًا .. آمرًا يشير نحو الباب .. رسالة لا تحتاج إلى ترجمة ..

هناك من يحاول اقتحام الباب .. بالطبع (منهم) وليس (منا) .. وإن كانت لا تعرف بعد من هؤلاء الـ (منا) ..

ضغطت على أسنانها والزناد فى ذات اللحظة ..

كان الزناد منزلقًا مرنًا .. ورأت الضوء الأزرق الساطع ينبعث من الفوهة .. وسمعت الـ (ززززززززز) المميِّزة لبنادق الليزر (وهو اتفاق آخر بين كتاب الخيال العلمى أن تصدر بنادق الليزر صوت أزيز) ..

فى اللحظة التالية تألقت الأجساد المحتشدة على الباب كأنما بفعل البرق .. وشمت رائحة الماس الكهربائى ..

ثم ساد السكون .. وتناثر الغبار على الأرض ..

ما أسهل القتل التكنولوجى !.. لا دماء ولا صراع ولا ألم .. فجأة ينضغط زرّ فيشطب اسم رجل أو اثنين من قائمة الأحياء .. والأمر بعد ذلك مسلّ كلعبة (فيديو) من التى كان الصبية يلعبونها فى مكتب (صفوت) ..

ـ أسرعى !.. إن مكوكى مختبئ فى فتحة الصرف !
قالها وهو يجد السير عبر الممر ..
أسرعت باللحاق به ، شاعرة باستمتاع حقيقى ..
ها هى ذى قد صارت بطلة من بطلات قصص الفضاء ، تركض بين ممرات كوكب غريب حاملة سلاح (ليزر) ..
دززززززز !.. المزيد من الأوغاد ..!.. أطلق فى هذا الاتجـاه .. ززززززز ..!.. إن هذا الغـريب سريـع الانعكاسات دقيق التصويب حقًا .. دززززززز ..!.. لقد بدأت أجيد استعماله ..!
وأخيرًا وصلا إلى فتحـة التهوية ـ أم لعله الصرف ؟ فمدّ الغريب يده وانتزع جزءًا من الجدار المعدنى ، ودفعها إلى الداخل .. ثم لحق بها .. وأطلق طلقة (ليزر) تحذيرية ..
كان المكوك يقبع فى الظلام وسط بركة من القاذورات عفنة الرائحة .. مدّ يده يبحث فى جيبه وأطلق سُبّة :
ـ اللعنة !.. نسيت مفاتيحى بالداخل !
ـ داخل المكوك ؟!
ـ نعم .. هذا يحدث لى دائمًا ..

- إذن .. هشم الزجاج ..

- هل تمزحين؟ أهشم زجاج مكوك سيعبر الفضاء؟ ثم إنه صلب جدًا ..

كان صوت طفل يصرخ يدوى فى الأجواء ..

وأدركت (عبير) أن هذا هو صوت صفارة إنذار جالاكتيكية ، وحتمًا سيهرع إلى المكان عدد لا بأس به من الرجال المعدنيين .. وسيصير الأمر شديد التعقيد ..

- ماذا ستفعل ؟!

تساءلت شاعرة بحنق شديد .. فهى لم تتصور الأمور فى الفضاء بهذا السخف .. ليس المكوك شيئًا يعامل معاملة سيارة (سيات) نسيت مفاتيحها ، وعليك أن تجد الميكانيكى الذى يستطيع فتح بابها ..

صوت صفارة الإنذار يتردد ..

وهنا صاح الغريب وهو يضرب رأسه بقبضته :

- بالتأكيد لم أنسها بالداخل .. لقد سقطت منى هنا ..!

- وسط هذه القذارة ؟

- حتمًا .. تعالى وساعدينى فى البحث ..

ووجدت (عبير) نفسها راكعة على ركبتيها وسط

السائل الأخضر المقيت ، عفن الرائحة ، تفتش بأناملها عن شيء صلب معدنى ..

تساءلت وهى تكتم أنفاسها :

ـ هل هذا مرحاض ؟!

ـ لا .. ـ وهو يلهث ـ أنت تعرفين ذلك الإفراز الذى يخرج من أنوف وآذان رجال (جالاكتيكا) .. لابد من التخلص منه فى هذا الأنبوب ، ثم يقذف الأنبوب كله إلى الفضاء ..!

ـ يع !.. إن هذا لا يثير شهيتى ..!

وفجأة سحبت يدها فى هلع هستيرى من السائل :

ـ ثمة ثعبان هنا !.. لقد شعرت بجسده ..!

مدّ الغريب يده حتى المرفق ؛ يفتش فى المكان الذى كانت تبحث فيه .. وقال فى رضا :

ـ ليس ثعبانًا يا صغيرة .. بل هو المفتاح !

وبعين ذاهلة رأت (عبير) يده تقبض على شيء طرى لا يختلف فى شكله عن الثعبان .. والمادة الخضراء تسيل منه ..

ورأته يقربه من قفل الباب ، فإذا بالثعبان يتلوى ويدسّ نفسه فى القفل حتى غاب داخله .. وسمعت التكة المطمئنة .

ـ حسن .. لنركب !

وثبت جواره داخل المكوك .. وانغلق الباب ..

وضغط على زر القيادة ، فاندفع المكوك كالسهم عبر جدران الأنبوب ..، تحول الجدار إلى خطوط سرعة براقة على الجانبين .. تأتى من مكان ما ؛ لتختفى فى مكان ما ..

ـ سنغادر الأنبوب والكوكب بعد ثانية .. أنا بحاجة إلى (إكس) فى هذا الجزء ..

وضغط زرًا آخر ، فظهرت على الشاشة التى أمامه صورة فتاة شقراء حسناء ، وإن بدا واضحًا أنها إلكترونية هى الأخرى .. قالت بصوت آلىّ كئيب :

ـ التحية أيها الجوّال .. سأحاول تحطيم البعد الخامس وإلا فلا أمل لنا فى اختراق الحصار حول الكوكب ..

ـ يجب أن تفعلى يا (إكس) .. لقد فعلت هذا فى أثناء مجيئنا ..

ـ قلت : إننى سأحاول .. لكن لا تنس أنهم الآن يقظون كالموركا .

استنتجت (عبير) الآن عدة نقاط :

١ ـ الرجل يدعى الجوّال .

٢ ـ أهل هذا الكوكب قد حطموا البعد الخامس .

٣ ـ الموركا ـ حتمًا ـ حيوان يُضرب به المثل فى اليقظة .

٤ ـ اللحظات التالية تحمل خطرًا داهمًا عليهما .

وفى اللحظة التالية ازدادت سرعة انزلاق الجدران على الجانبين .. اللون الأبيض اللامع يستحيل إلى الأحمر فالأزرق .. وعندئذ رأت الفضاء الأسود الفسيح بنجومه ونيازكه ومجراته ..

واطلق الجوّال صرخة فرح عارمة :

ـ يا هووووه !.. لقد نجحنا ..!.

قالت (إكس) فى رزانة :

ـ أى وقت أيها الجوّال .. أى وقت !.

قالت الجوّال وهو يسترخى فى جلسته :

ـ والآن يا (إكس) .. يمكنك أن تتولى أنت القيادة .. لا توجد مشاكل فى طريقنا إلى الأرض ..

ـ لكن يا جوّال .. هل تريد برنامجًا ترفيهيًا ؟

ـ نعم .. موسيقا .. أغنية (صباح) الأخيرة .. ومباراة كرة القدم بين الأهلى والزمالك .. إنها تدور الآن فى الأرض ..

ودوّى صوت الأغنية .. أما على الشاشة فرأت (عبير) الفانلات الحمراء والبيضاء المميزة .. لكنها أدركت أن لعبة كرة القدم قد تبدلت قليلًا .. عدد اللاعبين ثلاثون من كلا الفريقين .. والكرة عبارة عن كتلة مشعة من الطاقة عليهم تجنبها بأى ثمن ؛ لأن من تلمسه الكتلة يتفحم فورًا .. ! وتكمن المهارة هنا فى مراوغة الكرة إلى أن تسقط سجينة فى مفاعل نووى صغير على الجانبين هو المرمى ..

أما حكم المباراة فجهاز (كمبيوتر) يحلق على ارتفاع ستة أمتار ، يرقب ما يدور .. ويطلق شعاع الليزر ليحرق أصحاب (الفاولات) ..

وبرغم هذا كان هناك الكثير من الاحتجاج على الحكم ، وكاد أحد اللاعبين يضربه .. لكن الحكم أحرقه دون نقاش ..

- رياضة عنيفة حقًا هى كرة القدم ..

قال الجوّال وهو يمدّ يده فى جيبه :

- إن الجماهير متعطشة للدماء كما تعلمين .. هل لك فى بعض أقراص النعناع ؟

نعناع ؟!.. هاهى ذى تنظر إليه فى اهتمام .. الآن تفهم سرّ الشعور بالألفة الذى ينتابها كلما سمعت صوته ..

برغم القناع الذى يغطى وجهه ، تدرك الآن أن هذا هو (شريف) !.. (شريف) زوجها .. لقد ظهر فى أحلامها للمرة الأولى ؛ لينقذها .! واسمه هنا هو (الجوّال) ... ولكنه بالتأكيد لا يعرفها الآن .. لقد استخدم (دى-جى-٢) وجهه فحسب ... ومن المؤكد الآن أن الجوّال هو عنصر الخير الوحيد فى هذا العالم المريع ..

سألته دون أن تبعد عينيها عنه :

ـ لماذا لا تنزع هذا القناع ؟

ـ تنسين دومًا يا (ميرا) أننى أتنفس الأكسجين .. أنا أرضى ، ولا أستطيع تنفس (النتروجين) مثلك ..

وفجأة هلل فى حبور :

ـ هدف ممتاز لـ (الخطيب ـ الرابع عشر) !.. هل رأيته ؟

سألته دون أن تنظر إلى الشاشة .

ـ كيف ولماذا أنقذتنى ؟

قال وهو يعيد ضبط الصورة :

ـ حين تابعت الأحداث بجهاز (المراقبة المتجاهية) ؛ عرفت أن (زولتار) قد اكتشف أمرك .. وعرف أنك لست (ليا) .. حاولت أن أحميك بتزييف شعاع جهاز كشف

الكذب ، لكنهم اقتادوك إلى غرفة الفحص ولم يعد أمامى مناص من الهجوم المباشر ، وإلا مزق الكمبيوتر مخك ، قمت بقطع التيار الكهربى عن الغرفة .. وتمكنت بالتالى من تحطيم الباب دون أن تهاجمنى الروبوتات .. والباقى معروف ..

- إذن أنا لست (ليا) !

- ماذا دهاك يا ملاكى ؟ طبعًا لست (ليا) .. أنت (ميرا) عميلة الأرض التى احتلّت مكان (ليا) الجاسوسة الأثيرة عند (زولتار) .. ثم إنه أرسلك إلى الثوار ؛ لتلعبى دور (كارا) الأميرة .. لقد خدعنا (زولتار) والثوار معًا .. ولولا أنك نسيت تأدية التحية لهذا الوغد لما شك فى أمرك ، ولظللت تتجسسين عليه للأبد ..

- و .. وأين (زولتار) الآن ؟

- بالتأكيد يبحث عن (ليا) فى قلب كوكب الثوار .. وحتمًا لن يجدها .. وسيعرف أنه كان حمارًا !

اختلطت الأمور فى ذهن (عبير) .. هل هى (كارا) أم (ميرا) أم (ليا) ؟ وما هو المعسكر الذى نال ولاءها ؟!

وما هو دور الأرض فى الأمر ؟.. ومن هو الجوّال ؟

- وأين (ليا) ؟



اختلطت الأمور فى ذهن (عبير) .. هل هى (كارا) أم (ميرا) أم (ليا) ؟ وما هو المعسكر الذى نال ولاءها ؟!

- (ليا) كما تعلمين ترقد الآن فى أحشاء (الموركا) ..
وفجأة رأته ينظر لها فى ثبات .. نظرة أثارت رجفتها ..
ثم انحنى إلى الأمام وأطفأ الشاشة وخفض صوت الأغنية .. ونظر إلى عينيها مغمغمًا :
- إن أسئلتك كثيرة .. أسئلة لا يمكن أن تسألها (ميرا) .. وإننى لأسائل نفسى عما إذا كانت هذه خدعة من (زولتار) .. إنه يجيد صنع (الكلون) .. ولربما كنت أنت ...
- لن نعود لهذا .. إن الملل ...
وجدت مسدس الليزر مصوبًا على رأسها .. وسمعته يغمغم :
- إن الطريقة الوحيدة ؛ للتأكد هى أن تجيبى عن سؤالى :
ما هو اسم زوجتى السابقة .. ولماذا هجرتنى ؟!

* * *

٧ ـ الأرض .. ولكن ..

هذه المرة (عبير) تعرف الإجابة ..

هذه المرة تقولها في ثقة :

ـ كان اسمها (إيناس) .. وقد هجرتك؛ لأنك لا تصلح كي تكون زوجًا أو أبًا .. فأنت إنسان أنانى ..!

ـ صدقت !.. أنت (ميـرا) حقًا وإننـى لأطلب مغفرتك ..!

ومدّ يده يفتح الشاشة؛ ليواصل مشاهدة المباراة ..

* * *

من النافذة ترى (عبير) مشهدًا مألوفًا ..

ها هى ذى الشمس تسكب ضياءها فى الأرجاء، وحولها تدور كواكب المجموعة الشمسية .. عرفتها من ذلك الكوكب الذى تحيط به حلقة متألقة .. (زحل) .. بالتأكيد هو ..

ثم ترى كوكب الأرض .. هو بعينه .. كما يبدو فى أول صفحة من الأطلس الذى أعطوه لها فى المدرسة .. كانت هناك عبارة (وزارة التربية والتعليم) على الصفحة

اليمنى .. ثم صورة المجموعة الشمسية على الصفحة اليسرى .. وصورة لكوكب الأرض ككل ..

إنها تميز الجمجمة الإفريقية العملاقة .. والحذاء الإيطالى المتدلّى فى البحر المتوسط ..

إنهما يهبطان إلى مكان ما فى إفريقيا .. ربما فى الشمال .. لاتدرى بالضبط .. فقط ترى الخطوط الزرقاء تتحول إلى أنهار .. والكتل البنية تتحول إلى جبال ووديان ..

وتظهر (إكس) على الشاشة ؛ لتقول فى إنهاك :

ـ قد وصلنا يا جوّال .. هل من شىء آخر ؟

مدّ يده إلى الخزانة أسفل التابلوه .. وغمغم :

ـ شكرًا يا (إكس) .. فقط أريد بذلة (نتروجين) لـ(ميرا) .. ويمكنك أن تأخذى قناعى هذا ..

ثم تساءل فى قلق :

ـ هل أصبت ؟

قالت (إكس) وهى تبتسم ابتسامة مزيّفة خيّل لـ(عبير) أن الصورة شاحبة قليلًا :

ـ لا شىء .. بعض طلقات الليزر فى مضخة (الرادون) .. وطلقة (سيجما) فى خزان (البلوتنيوم) ..

- هذا مؤسف ..

- لا عليك .. سأذهب الآن إلى (بيومى) الميكانيكى ليرى ما هنالك ، ولا أعتقد أن هذا سيستغرق وقتًا ..

- إنه لصّ .. ربما كان (عباس) أفضل(*) :

- (عباس) لا يفهم شيئًا فى مضخات (الرادون).

وفى سلاسة ارتفعت مقدمة المكوك إلى أعلى .. ثم راح هذا الأخير يهبط فوق الرمال ببطء .. والرمال تتناثر فى كل اتجاه ، بعدها عاد المكوك إلى الوضع الأفقى ، وانفتح بابه ..

وثب الجوّال إلى الخارج .. وصاح فى (عبير) :

- ارتدى بذلة وقناع النتروجين الآن يا (ميرا) ..

ثم دق على جسم المكوك صائحًا :

- وأنت يا (إكس) .. يمكنك الذهاب للإصلاح ، وأرجو ألا تتحولى إلى خردة ..

فرغت (عبير) من ارتداء ثيابها ، فوثبت إلى الأرض لتنغرس قدماها فى الرمال الناعمة ..

ورأت المكوك يغلق بابه .. ثم ينطلق لأعلى .. ثم

(*) أى تشابه مع شخصيات فى عالم الواقع هو من قبيل المصادفة !

أفقيًا .. ليغيب وراء الهضاب الصحراوية بعيدًا ..

نظرت له للمرة الأولى وقد نزع قناعه ..

كان هو (شريف) بعينه ..

كان هو (شريف) لو أن هذا الأخير لوحته الشمس ، وتشعث شعره ، واختلط بالغبار .. وترك لحيته دون حلاقة* أربعة أيام ..

كان أقرب إلى واحد من رعاة البقر في أفلام (الوسترن) الإيطالية التي يسمونها (سباجتي) .. البطل في هذه الأفلام غير مهندم .. مشعث .. غير حليق .. وينقصه التهذيب دومًا ..

نظر لها الجوّال في حيرة :

ـ تحدقين فيّ كأنها المرة الأولى ..

ـ تذكرني بشخص أعرفه ..

ـ لا أعتقد أن هناك من يشبه الجوّال .. إنك غريبة الأطوار اليوم يا عزيزتي ..

كانت الشمس حارقة .. وكلما نظرت إلى مكان ، وجدت ألوفًا منها تطاردك في كل حدب ..

أخرج الجوّال من مكان ما في ثيابه عودًا من قش ، ودسّه بين ضروسه يلوكه كعادة الرعاع .. وراح ينتظر ..

ضيقت (عبير) عينيها ؛ لتتفادى وهج الشمس .. وقالت :
- هل .. أعنى هل نحن ذاهبان إلى مكان ما ؟
- لا أفهم ..
- أعنى .. هل توجد بيوت هنا ؟ أى مكان ظليل ؟
- إننا ننتظر (هـ) ..
- آه .. فهمت !

وفى سرها أطلقت سبّة ، لاعنة (دى - جى - ٢) وكل هذا العذاب الذى يقدمه لها بدعوى التسلية ..

وهنا رأت شيئًا يدنو منهما .. شيئًا أقرب إلى دراجة بخارية ، لكنها بدون عجلات .. بل هى تحلق فوق الرمال بمحركات نفاثة .. وأدركت أن هذه هى (هـ) ..

ودنا الشىء منهما ، ثم توقف على ارتفاع نصف متر فوق الرمال ..

- هيا بنا .. لقد أرسلت (إكس) إشارة لـ (هـ) كى يصطحبنا ..

وصعد فوق مقعد الدراجة وأشار لها ؛ كى تركب وراءه .. لم لا ؟ كانت تركب الدراجة البخارية وراء خالها عندما يكون مزاجه رائقًا ، أو غير مشغول بإصلاحات كهربائية عند زبون .. كان خالها يجيد القيادة .. ولم تدرك لماذا يصرّ على تسمية دراجته بكلمة (مكنة) ..

ركبت وراء الجوّال .. وأحاطت خصره بيديها .. ليس هذا عيبًا .. فهو زوجها حتى ولو لم يكن يعرف هذا ..!..

ودوىّ المحرك .. واندفعت الدراجة بسرعة البرق فوق الرمال من دون عجلات .. فقط تشعر (عبير) بلفح الوقود النفاث يلسع ظهرها .. يا لها من تجربة مثيرة ..

وارتفعت الدراجة فوق حائط الجبال البعيد ، ثم عادت تهبط .. وهنا رأت (عبير) مجموعة من الأكواخ البدائية ..

غريب هذا ..!.. مع كل هذا التقدم ؟

وراحت تنظر يمينًا ويسارًا .. كانت هناك دبابات متفحمة ذكرتها بصور رمال سيناء بعد حرب أكتوبر .. وكانت هناك سيارات صدئة جديرة بأن يسيل لها لعاب كل تجار وكالة البلح .. وكانت هناك أشياء شبيهة بـ (مترليوزات) مصوبة إلى السماء ..

قال لها الجوّال وهو يواصل التحليق .. ويدس يده فى فتحة فى تابلوه الدراجة :

ـ هل تسمعين شيئًا ؟ لدىّ بعض أغان جيدة من القرن الماضى .. هل تحبين (عمرو دياب) ؟!

ـ ....!!

مدّ يده ودسّ شريط كاسيت فى فتحة ما ، ودوّى صوت



ركبت وراء الجوال . . وأحاطت خصره بيديها . .

(عمرو دياب) الملتاع يتوسل إلى حبيبته ألا تتكلم فى الماضى .. الماضى الذى كان مليئًا بالجراح .. خاصة وهو راض بحبها ..

وراح الجوّال يصاحب الأغنية بصوته ، أما هى فازدادت حيرتها وعدم فهمها .. ما هذا الزمن ؟ وماذا يحدث هنا ؟

★ ★ ★

كان الجوّال يعيش فى أحد الأكواخ المنعزلة .. توجد بئر صغيرة جوار الكوخ .. وكلب أصفر هزيل لا يكف عن النباح ..

قادها إلى الداخل .. وكانت تضع قناع (النتروجين) إياه مما جعل حركتها ثقيلة نوعًا .. كان الكوخ من الداخل كأى كوخ آخر بنفس المزايا والعيوب ..

حشية للنوم على الأرض .. وجيتار معلق على مسمار .. وعدة بنادق ليزر .. وموقد صغير عليه إناء طهى به مادة صفراء مقززة ..

دعاها للجلوس على الحشية .. ثم نزع حذاءيه .. وأخرج قنينة ماء من تحت خرقة من قماش مبتل .. وجرع جرعة كبيرة ، ثم قذفها إليها .. فحذت حذوه ..

أخيرًا وجدت القدرة على أن تتكلم :

- يا جوّال .. أعتقد أننى فقدت الذاكرة .. لذا أريد منك أن تحكى لى كل شىء عن هذا العالم .. عالم (جالاكتيكا) والثوار و (عمرو دياب) والصحراء والدراجات البخارية بدون عجلات ..

نظر لها مليًا .. ثم غمغم :

- هل كانت خبراتك قاسية إلى هذا الحد ؟ هل عذبوك بقسوة يا صغيرة ؟

- ربما ..

وضع الزجاجة جانبًا .. وراح يحكى لها كل شىء ..

* * *

قال الجوّال :

- إن القصة التى تعيشينها الآن من نوع القصص التى يسمونها (قصص ما بعد المحرقة) .. أنت تعرفين أن كل كتاب الخيال العلمى يجمعون على أن كوكب الأرض يسير نحو كارثة بيولوجية ، أو نووية ، أو بيئية .. المهم أنهم واثقون أن القرن الواحد والعشرين لن يبدأ على خير ... وكل قصص (ما بعد المحرقة) تتكلم عن هذا .. عن حال كوكب الأرض بعد هذه الكارثة ... لقد نشبت حرب نووية

على كوكبنا أفنت الحضارة تمامًا .. لم تعد هناك سوى حفنة من قبائل الرحّل يعيشون كرعاة الأبقار فى الصحارى والوديان .. وهم يحاولون باستمرار أن يستعيدوا المذاق الحميم للماضى .. مازالت هناك أغان وكتب لم تُدمّر بعد ، مازالت هناك سيارات صدئة ومركبات فضائية هى إلى الخردة أقرب .. لكننا أقرب إلى إنسان الغاب .. والبقاء هنا للأقوى فقط .. من يطلق الليزر أسرع من الآخرين .. ومن يجرى بخفة أكثر .. ومن يجيد الاختباء ..

- وهل أنت مصرى ؟ وأين أمريكا وروسيا ؟

- لم تعد هناك دول .. توجد قبائل .. قبائل (الياتكى) وقبائل (التتر) وقبائل (البربر) وعرب شمال إفريقيا وعرب الجزيرة .. إلخ ..

- و (جالاكتيكا) ؟ والثوار ؟

- إن (جالاكتيكا) هى أمة من مجرة نائية طورت علومها وأسلحتها .. ومدت قبضتها على مجرتها .. ثم المجرات الأخرى تحت زعامة (زولتـار) والحكـام العشرة .. يمكن القول إنهم عمليًا يحتلون الكون بأسره .. ومادام هناك طغاة فهناك ثوار .. كل مكان فى المجرة يضم ثوارًا ، ومن هؤلاء الأميرة (كارا) وريثة

(أستوريا) التي انعزلت في كوكب مهجور مع رجالها وراحت تشن الغارات على (جالاكتيكا) .. هذا كلام فارغ .. نوع من رجفة أجنحة الذبابة قبل أن تموت .. وعلى كل حال لقد حصدهم (زولتار) حصدًا ..

- وأنتم - الأرضيين - مع من ؟

- أقول عن نفسي : إنني غير منتم .. لست متحمسًا لأي طرف .. كلهم مخطئون .. وأنا أومن بأن ثوار اليوم هم طغاة الغد ..! .. الضحية تصير جلادًا متى منحها أحدهم سوطا .. أنا لا أطيق حكم (جالاكتيكا) ، لكني لا أرحب لحظة بحكم (أستوريا) أو (أنجوريا) .. لهذا أعيش وحدي هنا أحارب (جالاكتيكا) على طريقتي .. من المستحيل أن أخضع لنظام ، أو قانون .. لهذا يسمونني (جوّال الفضاء) .. لأنني مجرد راعي بقر فظ مشاغب يتسلى بمضايقة (زولتار) .. لكني لن أسمح لسواه بالسيطرة ..

- ومن يحكمكم على هذا الكوكب إذن ؟

- لا أحد .. كل إنسان يفعل ما يروق له .. والليزر هو القانون الأوحد .. إن القبور تزخر بالضعفاء وبطيئي الانعكاسات .. وهكذا نصل اليوم إلى وضع ليس (حكومة) لكنه نوع من (التوزان) بين أفراد متساوي القوة ...

وجارى لا يهاجمنى إلا لسبب واحد ، هو أن احتمالات قتله لى تساوى احتمالات قتلى له ، ولو كانت احتمالات قتله لى أعلى قليلًا ؛ لو جدته هنا الآن ملوحًا بسلاحه ..

ـ تبًا !.. أى مجتمع هذا ؟

ـ صدقينى ليست (جالاكتيكا) أسوأ من هذا .. إنها تنظم الحياة ، وتفرض نوعًا من الحكومة على الشعوب ..، والحكومة هى الأمل الوحيد للضعفاء الذين لن ينالوا حقوقهم إلا بها .. إن (جالاكتيكا) هى الحضارة ، وليست شريرة إلى هذا الحد .. لكننا ـ نحن الرُّحّل ـ اعتدنا حياة الحرية ، ولن نقبل فقدانها ..

ـ ألم تحاول (جالاكتيكا) فرض سلطتها هنا ؟

ـ بلى .. ولهم عاصمة حضرية اسمها (جالاكتيفيل) .. ألم تشاهدى معى اليوم مباراة الأهلى والزمالك ؟ أين تظنينها قد أقيمت ؟ لكن (جالاكتيكا) لا تحاول فرض سيطرتها على الصحارى لأنها غير ذات نفع لها ..

ابتلعت (عبير) ريقها .. وفى حيرة سألته :

ـ ومن أنا ؟

ـ أنت حبيبتى (ميرا) من كوكب (بلوتو) .. حيث أقيم عالم صناعى نشأ عليه جيل من الأطفال متنفسى

(النتروجين) .. كانت (جالاكتيكا) بحاجة ماسة إلى من يتنفسون (النتروجين) ليحاربوا لها فى كوكبة الدجاجة .. وكنت أنت من هؤلاء ... لكنك فررت وجئت إلى الأرض .. والتقينا ...

- إذن أنا محاربة ..

- طبعًا .. ومحاربة شرسة لا ترحم .. لكن شيئًا إنسانيًا تحرك فيك .. وبعد ما صرت زوجتى قررنا أن تذهبى إلى (جالاكتيكا) لتحلى محل جاسوستهم (ليا) التى تشبهك كثيرًا جدًا ..

- ولماذا ؟ لماذا تحارب (جالاكتيكا) ما دامت ليست سيئة إلى هذا الحد كما تقول ؟

ابتلع ريقه .. ونظر إلى نقطة ما فى فراغ الحجرة .. وبهدوء همس :

- لأن (جالاكتيكا) تنوى إزالة الأرض من الوجود !



٨ ـ أنقـــذوهـا ..

تحاول (عبير) أن تغفو فوق الحشية، والقناع على وجهها ..

بينما ـ خارج الكوخ ـ تسمع صوت دندنة الأوتار .. إن الجوّال جالس على الرمال يتأمل الظلام .. ويعزف لنفسه لحنًا ما ..

الكلب يصاحب اللحن بعواء طويل حزين ..

* * *

إن (جالاكتيكا) تحاول تدمير الأرض يا (ميرا) ..

لماذا ؟ لأن الأرض صارت مركز تلوث دائمًا في الكون، بكل ما عليها من إشعاعات وعوادم مركبات ..

إن الأرض تؤثر سلبًا على جيرانها (المريخ ـ الزهرة) .. وهاته الجارات أكثر أهمية لـ (جالاكتيكا) من الأرض ..

ومتى سيتم التدمير ؟ سيتم حين ينتهي إخلاء العاصمة من كل ما بها من أجهزة حكومية .. عندئذ لن يساوى كوكب الأرض أكثر من ثمن الورقة التى يكتب

عليها اسمه ، وسيكون حفلًا كونيًا رائعًا يبين للناس مدى عظمة وعنفوان (جالاكتيكا) ..

ولسوف يرتجف الثوار في كل أرجاء الكون ، حين يعرفون أن كوكبًا كاملًا أبيد بما عليه من أحياء ..

ولماذا لا تفرون جميعًا ؟.. بعضنا فعل .. وبعضنا بقى لأن الأرض هى المكان الذى يتمنى أن يدفن فيه .. وبعضنا بقى ؛ لأنه لا يعرف مكانًا آخر في الكون يذهب إليه ..

لهذا ذهبت إلى (زولتار) يا (ميرا) لتعرفى خططه ، وتحاولى إحباطها فى المهد .. لكن الأمر لم يتضح بعد ..

★ ★ ★

فى الصباح صحت من النوم شاعرة بتوعك ، وتقيأت مرتين على الرمال .. ثم دارت القىء وغادرت الكوخ ..

كان الجوّال جالسًا أمام النار يقلى بعض اللحم فى مقلاة .. والكلب يقف أمامه ينتظر مدليًا لسانه فى شغف ..

- شموس عديدة يا (ميرا) ..

أدركت أن هذه هى تحية الصباح عندهم .. فغمغمت :

- شموس عديدة ..

- لا تبدين على ما يرام .. هيه !.. لحظة !.. اقتربى منى .. دعينى أرعنقك .. هذه الانتفاخات لم تكن هنا أمس ..

تحسست عنقها فشعرت بأجسام صلبة عديدة كدرنات البطاطس تحت جلدها .. ماذا حدث ؟

قال الجوّال وهو ينهض ؛ ليتحسس عنقها بأنامله :

ـ هذه عقد لمفاوية .. إنه تأثير التلوث النووى .. هذا سرطان !

ـ ماذا ؟.. سرطان ؟!

ابتسم برقة وهو يعبث فى جيبه ؛ ليخرج علبة صغيرة :

ـ السرطان من مرض بسيط .. لكن المهم أن نعالجه مبكرًا .

وناولها قرصين ، وأمرها أن تبتلعهما :

ـ عندى علبة (أونكوستاتين) وعلبة (ساركولايسين) .. انتهى ما عندى من الـ (كارسيكيور) .. لا يهم .. سيؤدى هذا الغرض .

ابتلعت القرصين غير مصدقة .. وغمغمت :

ـ إذن أنتم حللتم مشكلة السرطان ؟

ـ حللنا كل مشاكل المرض قبل المحرقة .. لكن للأسف لم نعد نحصل على الدواء إلا من العاصمة .. وبطريقة أقرب إلى السرقة ... والآن تناولى إفطارك سريعًا ـ إنه لحم (السيكادا) ـ وتعالى لنقابل ذا الحجا ..

جلست (عبير) تلتهم الإفطار .. كان شهيًا فلم ترد إفساد لذته بالسؤال عن (السيكادا) هذه ..، وسرّها أن لاحظت أن عقدها اللمقاوية قد تلاشت تمامًا ..

ثم ركبت الدراجة البخارية خلف الجوّال قاصدين ذا الحجا ..

★ ★ ★

- من هو ذو الحجا ؟

- إنه عجوز تجاوز القرن من العمر .. وكلنا نلجأ إليه ؛ طلبًا لرأيه ..

- ظننت مجتمعكم لا يقيم وزنًا لكبار السن ..

- حقًا .. نحن نطعم كبار السن لكلابنا .. لكن ذا الحجا رجل فريد من نوعه .. استطاع بحكمته أن يظل حيًا ويهزم كل خصومه ؛ لهذا يظل رأيه ذا قيمة استشارية عالية ..

- إذن تقتلون الشيوخ ؟!

- حتمًا .. والمرضى .. بل إننا نطلق على هؤلاء اسم (السيكادا) .. و ....

وهنا تذكرت طعام الإفطار ..

- (ميرا) !.. ماذا دهاك ؟ لماذا تتقيئين ؟ لابد أن لحم (السيكادا) كان غير طازج .. تبًا للجزار اللصّ !

★ ★ ★

كان ذو الحجا عجوزًا أصلع الرأس تمامًا ، تغطى لحيته صدره وأعلى بطنه .. وكان يجلس على الأرض أمام كوخه .. يحيط به عدد كبير من الرجال والنساء الذين يرشفون كلماته رشفًا ..

رأى الجوّال و (عبير) يدنوان .. فتحركت عيناه الذابلتان نحوهما .. وارتجفت لحيته بكلمات مبحوحة :

ـ هانتذا قد عدت أيها الجوّال .. ادن وقل ما عندك ..

افترش الجوّال الأرض .. وأشار إلى (عبير) لتحذو حذوه .. ثم قال وهو يداعب بندقية الليزر :

ـ يا ذا الحجا .. قد افتضح أمر (ميرا) لدى (زولتار) .. وبصعوبة أنقذتها من التعذيب والقتل .. والآن لم تعد لدينا ما نعتمد عليه لكشف نوايا (زولتار) ..

سعل ذو الحجا وبصق :

ـ تف !.. كح كح !.. لكن المرأة قد تمكنت من التقاط فيلم هولوجرافى للكوكب .. دعنا نره فلربما شككنا فى شىء ما ..

فى تؤدة أخرج الجوّال من جيبه شيئًا يشبه العملة المعدنية ، ودسّه فى جهاز صدئ متآكل يشبه علبة السجائر المعدنية ، وله ذات حجمها ..

وعلى الفور رأت (عبير) فى الهواء صورة مجسمة

للكوكب الصناعى الذى كانت عليه ؛ حين كانت تدعى (ليا) ..
أخرج الجوّال مؤشرًا ضوئيًا، وراح يشير به إلى تضاريس الكوكب شارحًا :
- المطار .. مراقبة الأجواء .. محركات الكوكب التى تسمح له بالانضمام إلى أية مجموعة شمسية .. صرف الإفرازات .. (يونيفرس) الكمبيوتر الذى يشغل مساحة ألف هكتار .. وحدة العلاج الإلكترونى .. وحدة التخصيب .. ثم هنا ...
وأشار إلى نتوء فى جسم الكوكب :
- كهف (زولتار) والحكام العشرة الصناعى .. تستحيل مهاجمته ؛ لأنه محاط بقنابل (ماكسيما) وإشعاع (سيجما) ..
ثم نظر متسائلًا تجاه ذى الحجا :
- هل تظنهم ينوون تدمير الأرض بقنبلة (ماكسيما) ؟
سعل ذو الحجا وبصق المزيد .. ثم قال موهنًا :
- حتمًا لا .. إن هذا يحول الأرض إلى ثقب أسود .. وقد يبتلع الكواكب المهمة المجاورة .. إن (زولتار) لن يجازف بفقد المريخ مهما حدث ..
ثم أردف وهو ينهض على قدميه الواهنتين :
- لا سبيل أمامه سوى (المعجّل) .. سيزيد سرعة

ذرات الأرض ، من ثمّ تفقد كتلتها وتتحول إلى طاقة ..
$ط = ك \times ع^2$ .. هذا من البديهيات ..

قال أحد الجالسين فى حماس :

ـ معادلة (فرانكنشتاين) !

ـ بل (آينشتاين) يا أبله .. (آينشتاين) ..

ثم وقف يتأمل النموذج المعلق فوق الهامات بعض الوقت .. وغمغم كأنما يكلم نفسه :

ـ يحتاج (المعجّل) إلى فراغ محيط به .. وأن يرتكز فوق الزئبق .. وأن يكون فقده الحرارى متوسطًا ..

وأشار إلى الكرة المعلقة :

ـ هنا يا (جوّال) .. لابد أن يكون (المعجّل) هنا جوار وحدة التخصيب .. وإلا فلا مكان له فوق (جالاكتيكا) ..

ـ هذا صحيح .. ربما لا يكون هناك أصلًا ..

ـ احتمال وارد .. إن سلاحًا كهذا لا يُترك بعيدًا فى حماية حراس قد يُخدعون وقد يرتشون وقد يُقتلون .. لابد أن (زولتار) يحتفظ بالسلاح دانيًا منه ..

وهنا هبّ الجوّال متحمسًا :

ـ يا الله !.. قد حزرت أيها العجوز ..!.. لابد أن (المعجّل) هناك .. ويمكننا أن نتسلل إلى (جالاكتيكا)



يحتاج (المعجّل) إلى فراغ محيط به .. وأن يرتكز فوق الزئبق ..

وندمره .. إن هذا ليس عسيرًا خاصة ، وحراس (زولتار) أغبياء دومًا .

فى شك تأمّل الجوّال هنيهة .. ثم غمغم :

ـ لا تنس يا جوّال أن القوم يقظون .. ولن يكون البعد الخامس سهلًا .. إن ما ستقوم به هذه المرة يتجاوز التسلل الصبيانى الذى اعتدت أن تمارسه ..

قال الجوّال وهو يخرج بعض أقراص النعناع من جيبه :

ـ لن ألجأ إلى حيل .. سأذهب إليهم متخفيًا .. إن (جالاكتيكا) هى مركز الإشعاع الحضارى فى الكون ، وكل الجنسيات تقصدها .. إنها تشبه (برج بابل) هذا العصر .. ولن أعدم حيلة للوصول إليها .. واقتحام (المعجّل) ..

ـ صــه !

قالها ذو الحجا فى غضب ، وهزّ إصبعه محذرًا الجوّال .

وأردف مفسرًا وهو ينظر إلى الجالسين حوله :

ـ جميعكم ناضج يفهم الحياة جيدًا .. لهذا لن يرى إهانة فى أن أقــول : إن بعض الجالسين هنــا جــواسيس لـ (جالاكتيكا) هذا شىء مفهوم ومتوقع .. وإلى أن نعرف أمر هؤلاء الخونة ؛ أنصحك يا جوّال أن تبقى مشاريعك لنفسك ، ولا تصارح بها أحدًا حتى أنا ..

وعاد إلى الجلوس القرفصاء .. ونظر إلى النموذج المعلق :

ـ كم من الرجال تحتاج إليهم ؟

ـ وحدى .. سيكون أيسر ..

ـ إذن خذ (ميرا) معك على الأقل .. فهى تعرف كل تفاصيل الكوكب ، ولها خبرة لا بأس بها بنظم (زولتار) الأمنية ..

أرادت (عبير) أن تعلن أنها لا تمثل أى نوع من العون بل العكس .. ثم آثرت الصمت ..

إن (دى ـ جى ـ ٢) لم يعد يمثل لها مصدر تسلية .. بل هو إزعاج دائم ..

ـ ومتى تتحرك ؟

ـ الليلة لو أن ....

ـ أيها المعتوه !.. للمرة الثانية تعلن أشياء ما كان ينبغى أن تغادر ضميرك .. عليك أن تتحرك فى أى موعد غير الليلة .. ولا تخبر أحدًا بشىء ، وإلا وجدت جيش (جالاكتيكا) ينتظرك كله ساعة الوصول ..

ثم خفض عينيه .. وغمغم :

ـ انصرف الآن ، ولك أرجو شموسًا عديدة ..

ـ شموسًا عديدة يا ذا الحجا ..

★ ★ ★

فى الكوخ راح الجوّال يعدّ لوازم العملية القادمة .. ويضع الطعام لكلبه .. سألته (عبير) وهى تتأمل بنادق الليزر المعلقة :

ـ هل ستأخذ معك أسلحة ؟.. كم عددها ؟..

لا أسلحة .. إن المراقبة البوزتيرونية للواقفين على الكوكب تكشف كل سلاح ..

ـ ولا قنابل ؟

ـ لنفس الأسباب ..

ـ إذن ماذا تنتوى أن تفعله ؟ تضع زلطة فى المعجّل ؟!

ـ سنرتجل يا فتاة .. سنرتجل ..

وشاعت على وجهه ابتسامة قلقة .. وأردف :

ـ إن الخطط المحكمة تفشل دومًا .. آمل أن يعيننا الحظ فى العثور على (كعب أخيل) لهذا النظام المحكم .. ولو لم يعنا فعندئذ سنتمنى لو أن أنابيب الاختبار التى تكوّنا فيها قد تهشمت !..



٩ ـ جالاكتيكا مرة ثانية ..

مرة أخرى ينطلق مكوك الجوّال نحو الكوكب الصناعى (جالاكتيكا) .. (عبير) جالسة جواره تتوقع الخراب .. و (إكس) على الشاشة لاتكف عن الثرثرة..

قالت (إكس) :

ـ لو تأخرت يومًا آخر يا (جوّال) لانتقل الكوكب إلى القطاع (زيتا) ..

ـ أعرف يا (إكس) ..

تساءلت (عبير) وهى تصلح وضع القناع على وجهها :

ـ ماذا تعنيه بالضبط ؟

قال الجوّال وهو يسترخى فى مقعده :

ـ ألم أقل لك : إن كوكب (جالاكتيكا) يتحرك بين المجرات ؟ أشبه شىء بمدير نشط يهوى القيادة .. ويفاجئ مرءوسيه بالمرور عليهم فى كل لحظة .. ، ولـ (جالاكتيكا) القدرة على أن تدخل أية مجموعة شمسية تريد ؛ لتدور فى مدارها ، وبعد فترة تغادرها ؛ لتدخل مجموعة أخرى ..

ـ وكيف تتنقلون بين المجرات بهــذه السرعــة والبساطة ؟

ـ لقد قهرنا سرعة الضوء من زمن .. لاأدرى كيف تنسين حقائق كهذه ياملاكى .. تبدين لى آتية من القرون الوسطى .. كالقرن الخامس عشر ..

حكّت (عبير) شعرها ، وراحت ترمق النجوم التى تتدافع فى هستيريا قادمة من لامكان ؛ لتذهب إلى لامكان ..

لم تستطع قط أن تتخيل حياتها فى هذا العالم ..

لم تستطع .. ولم تحب ..

هذا العالم البارد الخالى من أية حياة ..

العالم المتحذلق الذى يفوح بالادعاء ..

متى يصاب هؤلاء بالصداع أو الإسهال ؟ .. وكيف يحيون ؟ ومتى تنتابهم لحظات ضعف ؟ ..

من المستحيل أن يظل إنسان هكذا طيلة حياته ، يحدث أجهزة الكمبيوتر .. ويلوح ببنادق الليزر .. ويحاول تفجير شىء ما ..

وتذكرت أنها قرأت الكثير من الخيال العلمى ، ولاحظت أن رواياته تنقسم إلى جزأين :

(١) العلم المدمر : حيث يصير العلم ـ فى يد عالم

مجنون - هو السبيل لخلق مشكلة مروعة تجعل الحياة أسوأ .

(ب) علم الإمبراطورية : علـم سيـوف الليـزر والروبوتات والأطباق الطائرة .. وهنا يصير العلم مجرد قشرة ، تغلف الأحداث التى هى أقرب إلى قصص رعاة البقر .

لكنها لم تقرأ قط المعنى الحق للخيال العلمى ، وهى أقل ذكاء من أن تعرف أن الخيال العلمى الحقيقى يقوم على محاولـة تطبيق نظريـة علميـة ، وتخيل مايحدث لو تحققت ..

كانت غارقة فى هذه الأفكار ؛ حين سمعت صوت (إكس) يعلن أنهما يقتربان من (جالاكتيكا) ، وأن الوقت قد حان ؛ كى يلبس الجوّال قناع الأكسجين ..

نظرت (عبير) إلى الجوّال .. وتساءلت :

- إذن لن يرى أحدنا الآخر دون قناع أبدًا ؟ .. لابد من قناع على وجهك ، أو وجهى أو الاثنين معًا ؟

- طبعًا يا ملاكى ..

- أية حياة زوجية هذه ؟!

- لأن عالمينا يختلفان يا (ميرا) .. لابد من دفع

الثمن .. أعرف صديقًا لي ، تزوج فتاة من كوكب (نمسيس) النارى ؛ حيث يشرب القوم النار ، ويستحمون فيها .. تخيلى حياتهما معًا ! .. الزوجة تعيش في قفص يضخ النار حولها طيلة الوقت .. وتنام في الفرن .. ، إننا أسعد حظًا من سوانا ..

ثم إنه نظر إلى الشاشة ؛ ليقول لـ (إكس) :

ـ والآن يا (إكس) .. إجراءات التخفى ..

في الحال بدأت زوائد عدة تبرز من جوانب المكوك ..

بعد دقائق غدا أقرب إلى القنفذ منه إلى المكوك ، وراح لهب أزرق يتصاعد من مؤخرته ..

ـ ماذا فعلت ؟

ـ إن كمبيوترات (جالاكتيكا) تذكر مواصفات المكوك ، وتذكر رقمه الأيوني من المرة الأخيرة .. لن يمكننا الدخول إلا لو صرنا آخرين ؟

ثم استدار يخاطب (إكس) :

ـ والآن يا (إكس) .. التنكر الخاص بنا .. والبطاقات الكونية ..

ـ لكن يا جوّال ..

وانفتح باب تحت (التابلوه) .. فأخرج الجوّال منه بذلتين من المعدن المغطى بقشور كقشور الأسماك ..

وارتدى واحدة فوق ثيابه ، وناول الأخرى لـ (عبير) كي ترتديها .. ثم مدّ يده إلى الخزانة فأخرج بطاقتين معدنيتين لامعتين ..

سألته (عبير) وهي تغلق أزرار بذلتها :

ـ ما هذا ؟ .. هل هو كارنيه ؟

ـ لا أفهم معنى (كارنيه) .. إنها بطاقات كونية تصنعها (جالاكتيكا) لكل رعاياها .. ولكل مخلوق رقم مميز ..

ـ تعنى الرقم البيولوجي للحمض النووى كالذى وجدوه عندى ؟

ابتسم فى تهكم :

ـ بالطبع لا .. أكثر كائنات الكون لا تملك حمضًا نوويًا .. بعضها يعتمد على الـ (أورجانا) شفرة الحياة الكونية ، وبعضها لا يعتمد على أية شفرة .. الرقم المذكور فى هذه البطاقة يدل على نوعنا وكوكبنا وانتماءاتنا السياسية ... يمكن القول دون مبالغة إن (يونيفرس) الكمبيوتر العظيم المهيمن على (جالاكتيكا) ، يعرف كل شيء عن كل مخلوق فى نطاق سيطرة (جالاكتيكا) .. وهو يعرف عن عواطفك ، وأسرارك الخاصة أكثر

مما تعرفين أنت نفسك .. لأن هذه البطاقات اللعينة جواسيس ، تعرف كل شيء عنك وترسله إليه ؛ ليضيفه إلى ذاكرته ..

- ياللهول !.. إذن تخلصوا من هذه البطاقات ..

- مجرد التخلص منها يضعك في قائمة الثوار ، أو غير المنتمين .. وعليك قضاء حياتك في الهرب والصراع ..

- وهذا ما فعلناه ..

- طبعًا .. ولهذا ندفع الثمن .. ونحيا كالفئران في الصحراء ..

- وهاتان البطاقتان ؟ مزورتان طبعًا ؟

ناولها بطاقتها .. وغمغم :

- لا يمكن تزوير البطاقات الكونية ؛ لأنها مصنوعة من معدن غامض تحتكره (جالاكتيكا) .. لقد سرقت هاتين البطاقتين من سائحين (كاليوزيين) .. كانا يزوران الأرض منذ شهور ..

- وما مصيرهما ؟

- وجدا أنهما صارا ثائرين على الرغم منهما ! وفرا إلى (أرمانا) ..

- لكن هاتين البطاقتين تنقلان كل خططنا إلى (يونيفرس) الآن .

- ليس تمامًا .. إن (إكس) تضللهما طيلة الوقت .. وتنقل لهما معلومات خاطئة .. لكننا سنكون حذرين بمجرد مغادرة المكوك ؛ لأنهما ستعدان أنفاسنا !

- تبًا !

كوكب (جالاكتيكا) يظهر بوضوح من النافذة ، وحوله حركة المرور الصاخبة إياها ..

قال لها الجوّال وهو يأخذ شهيقًا عميقًا :

- الآن يجب أن تعرفى كل شىء عنا .. أنا تاجر (كركاتيل) ثرى من (كاليوزيا) وأنت زوجتى .. يجب أن تسترجعى كل خبراتك عن تجارة (الكركاتيل)(*) !

- سأ .. سأحاول .. أنا لم أبع (كركاتيل) منذ أعوام !

- تذكرى كذلك أن (كاليوزيا) كوكب مائى .. لهذا ستملأ (إكس) المكوك بالماء الآن .. وسيسمح لنا بالهبوط فى المطار المائى المخصص لذلك ..!

- مطا ... مائـ ... ! .. ليكن !

- إن هذا سيسهل المهمة .. لن يكون علينا الكلام باللغة الكاليوزية ، بل سيقوم المترجم بذلك .. ولن يعرفوا أبدًا أن المترجم هو من يخاطبهم ..

(*) الكركاتيل هو شىء ما لا أدرى كنهه !

وفى الخارج بدأت معالم الكوكب تزداد تجسمًا ..

- (إكس) .. ابدلى ملء المكوك ..

- اللعنة !.. جلوب !!

إذ من أربعة مواضع راحت المياه الباردة تتدفق، وترتفع لتحيط بـ (عبير) والجوّال حيث جلسا .. كانت ثيابهما محكمة، وكذلك القناعان، فلم يصر الغرق حقيقة .. لكن (عبير) لم تشعر بأية راحة من لعب دور سمك الزينة هذا .. شعور سمج أن تجلس فى كرة زجاجية يملؤها الماء ..

الآن صار الكلام مستحيلًا بين الاثنين ..

مدّ يده إلى التابلوه ، فتناول جهازًا صغيرًا ثبته جوار أذنه .. وناولها واحدًا مماثلًا ثبتته جوار أذنها ..

وعلى الشاشة اختفى وجه (إكس) القسيم ؛ لتظهر بدلًا منه عبارة مكتوبة بخط واضح :

- يقولك الجوّال : إن التخاطر سيكون وسيلة الاتصال ، وأنا سأكتب أفكار كل منكما على الشاشة ..

ثم ظهرت هذه السطور :

- كعادة سكان (كاليوزيا) .. هم يفكرون .. ويتم التخاطر بينهم ، لكنهم لا يتفاهمون مع العالم الخارجى إلا عن طريق جهاز يترجم الفكر إلى أصوات ..

ثم :

ـ أنا أتلقى الآن طلب تعريف يا (جوّال) .. فماذا أقول لهم ؟

ظهرت بعدها على الشاشة السطور التالية :

ـ حسن .. أنت تتهمنى بالغباء .. آسفة .. لقد أبلغتهم حالًا أنك التاجر (بليك ـ بليك) من (كاليوزيا) ، ومعك زوجتك ، وأنكما جئتما ، طلبًا لبركات (يونيفرس) ..، وقد سمحوا لك بدخول المطار المائى ، لكنهم يريدون البطاقات ..

عبر ستار الماء المحيط بها ، ترى (عبير) شارعًا معدنيًا .. وعشرة روبوتات مسلحة تحيط بالمكوك حيث استقر على الأرض ، وترى الجوّال يضع البطاقتين فى فتحة بالتابلوه .. بعدها رأت ذراعًا آليًا يخرج من المكوك ليقدم البطاقتين لأحد الروبوتات ..

راحت البطاقة تتوهج بلون قرمزى فى يد الروبوت .. ثم أعادها إلى الذراع ، وفحص الثانية ..

بعدها هز رأسه بمعنى أنه لا غبار عليهما .. يمكنهما المرور إذن .. حمدًا لله !..

وعادت البطاقتان تنزلقان من الفتحة إلــى داخل المكوك ، وعلى الشاشة كتبت (إكس) :

- أوف !.. لقد مررنا !..

وأحست (عبير) أنها تهبط .. تهبط .. لقد فتحت الأرض تحت المكوك ، ليهوى لأسفل .. ويرتطم بالماء ..

لقد كانت هناك بحيرة تحت الأرض إذن !..

ورأت (عبير) شيئين يشبهان كبسولتين واقفتين بحجم الإنسان العادى ، يدنوان من المكوك ؛ ليقفا جواره ..

لم تفهم كنه هذا الشيء .. فنظرت إلى الشاشة لتقرأ تعليق (إكس) :

- إن (ميرا) لا تفهم نفع هاتين الكبسولتين .

ثم كتبت على الشاشة :

- الجوّال يقول لك : إن الكبسولتين ستكونان لتنقلنا على سطح الأرض ، فما دمنا من كوكب مائى .. يعدو عسيرًا أن نغادر الماء ثانية واحدة .. وهذه الكبسولات تجعل كلًا منا يمشى داخل حوض سباحة متنقل ؛ ليقابل غير المائيين ويعيش بينهم ..

كلام غريب !.. تبًا لعالم المجانين هذا ..

المهم أن (عبير) والجوّال خرجا من المكوك ، ودس كل منهما جسده فى كبسولة زجاجية يسمح حجمها بدخول إنسان واقف .. وعلى الفور انغلقت على كل منهما ..

ووجدت (عبير) نفسها ترتفع لأعلى .. لأعلى .. إلى سطح الماء ..

ولم تكن المهزلة قد انتهت بعد ..

وجدت ذراعين آليتين تخرجان من جانبى الكبسولة ، وقدمين آليتين تخرجان من أسفلها .. بحيث تحولت إلى عملاق واقف خبست (عبير) فى بطنه ..

وفوجئت بالشىء يمشى على قدميه فى بطء ..

إذن هذا الشىء هو وسيلة تنقلها على هذا الكوكب .. حبيسة بداخله وسط الماء البارد ..

ورأت الجوّال يمشى جوارها حبيسًا فى شىء مماثل ..

كانا يمشيان بغير إرادة منهما فوق ممر طويل ، يقود حتمًا إلى الخروج من هذا المطار المائى ..

وبالفعل .. شعرا بالأرض تعلو بهما ..

وحين رأيا الضوء الشمسى الصناعى ، كان هناك حشد من الروبوت يحيط بهما شاهرًا بنادق الليزر ..

وكان هناك أحد ضباط (جالاكتيكا) ينتظرهما جوار شاشة كبيرة من الكريستال السائل ..

تكلّم الجوّال فى حيرة ، فخرجت كلماته باللغـــة الكاليوزية :

ـ تيهاه * * ! شندم ؛ ، + * * ٪ ؛ ! #

وعلى الشاشة ظهر ما يريد الضابط قوله ، متألقًا بحروف خضراء زمردية على أرضية سوداء .. وقرآه معًا بوضوح ، برغم جدار الماء الذى يحيط بهما :

ـ والآن .. من أنتما حقًا ؟!

ـ ءس !؟؟ + / * # $ ، ؛ تيهاه !

وعلى الشاشة ظهرت الكلمات القاسية :

ـ لا داعى للاستمرار فى هذه المهزلة .. نحن نعرف أنكما لستما سائحين من (كاليوزيا) .. فمن أنتما ؟

* * *

١٠ ـ مع (يونيفرس)

برغم خطورة الموقف ؛ أحست (عبير) بالسرور لأنها تخلصت أخيرًا من كبسولة المخابيل هذه ..

أخيرًا تقف على الأرض مرتدية ثيابها العادية ، وتتخلص من البلل الذى كاد نخاع عظامها يتعفن منه ..

قال الضابط فى ثقة وهو يداعب سلاحه .

ـ هيًا .. ألن تسألانى عن كيفية معرفة سركما ؟

كان فارع الطول له ثلاثة أذرع .. وفم فى مقدمة صدره .. لكنه كان يرتدى القناع كما يفعل الجميع ..

قال الجوّال فى ضيق وهو يبصق الماء :

ـ لسنا فضوليين .. لقد وقعنا فى أيديكم وكفى ..

بدا الضيق فى صوت الضابط .. فهو كان شغوفًا بالثرثرة ؛ ليظهر لهم مدى عبقريته ، ولم يعتد أن يلقى غير الفضوليين مثل هذين .. على أنه تكلم على كل حال :

ـ لقد قتلنا صاحبى هاتين البطاقتين على كوكب (بلغور) منذ عامين .. و (يونيفرس) يعرف هذا جيدًا ، لهذا صُدم حين وجدهما حيين يرزقان ، ويطلبان مقابلته .

ـ هذا لايعنينا فى شىء .. إنها مشكلاتكم الداخلية ..

صاح الضابط فى مرح وهو يشير للآليين :

ـ هلموا ياشباب .. سنعرضهما على (يونيفرس) ليعرف من أين جاءا .. وماذا يبغيان ..

* * *

مرة أخرى تجد (عبير) نفسها مقيدة إلى المنضدة ـ ذات المنضدة ـ تتأملها الرأس المزودة بكاميرا ـ ذات الرأس ـ وصورة أحشائها على الشاشات ..

الصوت الميكانيكى البارد يردد :

ـ النوع أنثى .. نمط التشريح الأولى ، يدلّ على أصول من درب التبانة .. !

لقد غدا هذا مملًا ....

من جديد يردد الصوت الآلى برتابة :

ـ الرقم البيولوجى للحمض النووى هو (٥٤٨١٧٩٤) .. تكرر .. الرقم البيولوجى هو (٥٤٨١٧٩٤) .

وفجأة صاح الصوت فى ذهول إلكترونى مُحبب للنفس :

ـ ولكن .. لقد صادفنى هذا الرقم من قبل! .. آه! .. إنها تلك الفتاة التى زعمت أنها (ليا) ولم تكن هى .. إن الأمر أخطر من محاولة تسلل .. يجب إبلاغ (زولتار) والحكماء حالًا .. أعطنى إشارة (أومجا) ..

ولم تكن الإشارة (أومجا) مسموعة ولامرئية ..

كل ما هنالك أن (عبير) رأت بابًا ينفتح فى ركن القاعة ، ويدلف منه (زولتار) بقامته الفارعة وعباءته السوداء وقناعه المليء بالخراطيم .. وكل كشافاته تضيء (بالتأكيد كناية عن الاهتمام) ..

- إذن هو أنت من جديد !

ووقف يتأملها هنيهة حيث رقدت على المنضدة ، ورفع رأسه ينادى شيئًا ما :

- يا (زيبرا) .. هل تعلم من الفتاة التى خدعتنا ، وقضت على جاسوستنا (ليا) ؟

جاء الصوت الآلى من أعلى .

- من هى يا (زولتار) ؟

- هذه هى .. وهل تعرف من ضللتنا وجعلتنا ننبش كوكب الثوار بحثًا عن (ليا) ؟

- من هى يا (زولتار) ؟

- هذه هى .. وهذه المرة لم تأت وحدها .. بل معها متشرد فضائى .. بالتأكيد ليس لغرض خيّر ..

ثم صاح بغيظ فيها .

- ماذا تريدين منا بالضبط ؟ لماذا لاتتركينا وشأننا ؟ إن تحدى (جالاكتيكا) لهو نوع من ضرب الرأس بالصخور .. ولم يحدث فى التاريخ كله أن تحطمت الصخور ..

دوى صوت (يونيفرس) البارد من أعلى :

- هل نبدأ الاستجواب يا (زولتار) ؟

- كلا .. لقد سئمت كل هذا .. تخلص منهما يا (يونيفرس) بشرط ألا تبقى خلية واحدة منهما ..

- ألن تحاول معرفة ما وراءهما ؟

- ما نفع هذا ؟ بالتأكيد يريدان نسف شىء ، أو سرقة شىء ، أو التآمر على شىء .. وأنا لا أملك الوقت ولا المزاج الرائق لسماع كل الهراء من هذا النوع .. خلصنى منهما الآن ..

واستدار ؛ ليغادر القاعة ..

لكنه لم ينس أن يستدير ليكرر :

- الآن !

★ ★ ★

بعد رحيله ساد الصمت .. واغمضت (عبير) عينيها فى انتظار الشىء الذى سبقتها ، والذى لن يخرج عن

كهرباء تصعقها، أو ليزر يحرقها، أو صدمة تهشمها، أو رصاصة تخترقها ..

لكن المدى طال نوعًا .. وأدركت أن ربع ساعة قد مرّ دون أن يحدث فيه شيء ..

هل نام هذا الكمبيوتر الأحمق ؟

بعد ثوان دوّى صوته - (يونيفرس) - يقول فى تردد :

- الواقع أن الأمر عسير نوعًا ..

- ماذا تعنى ؟

قال بصوته الرتيب :

- هل تعرفين من أنا ؟

- أنت (يونيفرس) ..

- أنا أضخم كمبيوتر فى الكون .. أنا المصبّ الذى تنتهى عنده كل معلومة كونية من مدار مذنب (هالى) وحتى عدد الصراصير الذى سحقته قدم قاسية فى شمال إفريقيا ..، كل التفاصيل تنتهى عندى .. وعلىّ قياس أنماط الشعور والتنبؤ بمسارات الأشياء ..، أعرف عن ثوار (بلوتو) فى كهوفهم الجليدية كل شيء .. وأعرف عن محاربى (زوندا) الكثير ..، إن ذكائى الصناعى لمعجزة .. وسرعة قياسى للأمور يفوق أى خيال ..، لكنى - برغم هذا - وحيد تمامًا ..

وتهدج الصوت الإلكترونى قليلًا :

ـ لقد غرسوا فى وحداتى البيولوجية ذكاء غير عادى .. ذكاء يوشك أن يكون عاطفة .. ودعينى أصارحك إذن بأن حياة الحاسبات العملاقة تدعو للسأم .. لاشىء سوى هدير شرائط التخزين ، وتواثب الشحنات من موضع لآخر فى الذاكرة .. أما أنت فتملكين حياتك ، وتملكين كل حيوية كائن من لحم ودم ، يستطيع أن يضحك ويبكى ويموت ..

وأصدر صوت تنهد صك أذنيها المذهولتين .. وغمغم :

ـ أنت أول كائن يحمل هذا الرقم البيولوجى الذى يشى بجمال الماضى وأصالته .. لهذا سأتحدى (زولتار) للمرة الأولى فى حياتى وأطلق سراحك !

وصدق وعده حقًا .. إذ شعرت بالقيود ترتخى حول معصميها ورسغى قدميها .. ، وهنا دوى الصـــوت الآلــى :

ـ هل جننت يا (يونيفــرس) ؟ إن (زولتـــار) سوف ....

قاطعة الصوت الآلى فى فتور :

- اخرس يا (زيبرا) ! صحيح أن (زولتار) جعل منك ضميرًا إلكترونيًا يراقب أفعالى طيلة الوقت ، لكنى لاأرى لك أى حق فى مراجعتى .. سأطلق سراح هذين ..

صاحت (عبير) فى لهفة وهى تثب من فوق المنضدة :

- شكرًا يا (يونيفرس) !.. أنت كمبيوتر شهم ..!

- ووسيم كذلك يا صغيرتى!.. أنا أجمل كمبيوتر فى الكون حتى هذه اللحظة .. والآن هوذا فارسك .. افعلا مايحلو لكما فى هذا الكوكب اللعين .. ثم غادراه .. وأنا سأعمل على عدم اكتشافكما .. لأن كل شىء فى هذا الكوكب يعتمد علىّ ..

وهنا رأت الجوّال يدنو منها ، وملامح وجهه تقول : إنه حائر تمامًا .. وإنه - على الأقل - كان سيفهم أكثر لو أن (يونيفرس) قام بحرقهما حيين ..

نظر الى (عبير) سريعًا .. ثم هتف :

- إذن هيًا نفرّ .. واضح أنك بخير ..

وبضيق غمغم :

- إن هذا الكمبيوتر لايحترم المُثل .. كنا سنغدو شهيدين .. أما الآن فعلينا أن نواجه المزيد من المشاكل ..



نظر إلى (حبيب) سريعًا .. ثم هتف :
ـ إذن هيا نفرّ .. واضح أنك بخير ..

قالت له لاهثة :

- ماذا نفعل الآن ؟

- يا له من سؤال !.. نفتش عن وحدة التخصيب حالًا ..

وهرع - ومعه الفتاة - يجتازان الممرات الصناعية الخانقة .. وهاجمهما روبوت متحمس يحمل سلاح ليزر ، وانطلقت الطلقات تئز جوارهما مبعثرة الشرر الكهربى الأزرق ..

فانبطح الجوّال أرضًا وأسقط (عبير) بدفعة من يده .. ومن حزامه أخرج جسمًا مضيئًا يشبه القداحة ..

لشدة دهشتها رأت (عبير) الروبوت يستدير منصرفًا فى تؤدة .. فاستدار الجوّال يفسر لها ما حدث :

- إن الروبوت يعتمد على قياس الأشعة تحت الحمراء الصادرة عن الجسم ؛ ليعرف هل أصيب أم لا .. وقد خدعته أنا بإطلاق نفس الطول الموجى للأجسام المحتضرة .. إنه يحسبنا قد هلكنا .. لكنه سيعرف مدى حماقته الآن ..

وهرع ليلحق بالروبوت ، ثم وثب على ظهره متعلقًا به بساقيه ، ومدّ يده إلى قفاه ؛ لينتزع سلكًا ما ..، وعلى الفور توقف الوحش الذى يبلغ طوله ثلاثة أمتار عن الحركة .. لابد أن هذا هو (الفيوز) وقد انتزعه الجوّال ..

كانت اليد الآلية متقلصة على السلاح ، لكن الجوّال نجح فى انتزاعها دون مشاكل ، وفى الوقت المناسب ليطلق دفعة من الليزر على حشد من الروبوت ظهروا على مرمىً البصر .. وكانت ضربة موفقة حتمًا ..

رائحة الماس الكهربى والدخان تملأ المكان ..

وأجساد ستة من الروبوت تتكوم على الأرض ، ومزيد من بنادق الليزر لكل من المتسللين ..

صفقت (عبير) بكفيها فى مرح ..

كل شىء يحدث كما تخيلته فى أحلامها مرارًا .. والآن هى انتحارية فضائية تقاتل بالليزر وسط غابة من الروبوت الحانقين .. يا له من سحر !..

قال الجوّال وهو يضع بندقيتين على كتفه :

ـ لم ينته المزاح بعد .. يجب أن نجد وسيلة تنقّل نصل بها إلى المعجّل ..

وراحا يجريان عبر الممرات .. يضع معارك مختصرة .. ثم وجدا سائحًا من (أورانوس) يقف جوار سيارته النفاثة التى تحمل أرقام (فردى نفاث ـ أورانوس ـ ٤٨١٦٩) ..

لا داعى إذن لأن أقول : إن الجوّال ركل السائح فى ذقنه المتدلية ما بين ساقيه .. ولكمه فى أنفه الذى يتوسط

بطنه .. ثم ركله من جديد فى ثلاث من عيونه العشر ..

ووثب إلى السيارة مع (عبير) .. بينما تهاوى السائح جوار السيارة كصنم مهشم ..

وانطلق المحرك النفاث ..

- من القسوة أن تضرب بريئا .

قالتها فى كياسة محاولة ألا تثير غضبه .. فقال فى تهكم :

- لا يبدو بريئا جدًا .. قليلون هم الأبرياء الذين يملكون عشر عيون ... وعلى كل حال سكان (أورانوس) جميعًا أوغاد باستثناء من مات منهم !

راحت الممرات تتدافع ؛ لتمر جوار السيارة .. ولم تجرؤ على سؤاله عن كيفية معرفته الطريق .. كان ذلك حين دوى الصوت الآلى مجلجلًا :

- هنا (يونيفرس) .. إلى جهات الحراسة قاطبة .. لقد فرّ الأسيران ، وهما يقصدان المعجّل لتفجيره ..! ارفعوا حالة الاستعداد إلى (٦٣٠) .. أطلقوا الغازات .. وستار التكمير النيوترونى حالًا !

.... !

★ ★ ★

١١ ـ دمــار ..

ـ يا للخنزير !

قالها الجوّال فى اشمئزاز وهو يواصل القيادة .. وأردف وهو يتخذ منحنى خطرًا :

ـ لقد خاننا !

قالت وهى ترمق الطريق مذهولة :

ـ ولماذا ؟ كان بوسعه أن يدمرنا من البداية !

ـ كنت أشك فى هذا .. لابد أن فيروس كمبيوتر قد تسلل إلى ذاكراته ، وجعله يمرّ بلحظة الحنان العابرة هذه .. أما الآن فقد عاد إلى طبيعته المؤذية الواشية ..

ـ والعمل ..؟

ـ لا عمل .. سنواصل السير إلى أن نصطدم بستار تدمير لا نراه .. بعدها نتحوّل إلى رقائق مشعة ..

وفجأة هتف وهو يشير إلى مجموعة من الأبواب المغلقة التى كتبت عليها إشارات بلغة غير مفهومة :

ـ لحظة !.. هل ترين هذه الأبواب ؟.. المفترض أننا نمشى الآن وسط وحدات ذاكرة (يونيفرس) .. لابد أن هذه

الأبواب تقود إلى داخل المعالج المركزى ..

وأوقف السيارة النفاثة وساعد (عبير) على النزول منها ، ثم هرع يتفقد الأبواب المعدنية وقال :

- إنها موصدة بأقفال إلكترونية محكمة .. لكننى أعتقد أنها لن تتحمل إلى ما لا نهاية ..

ووقف خارج السيارة ، ووجه مقدمتها نحو الأبواب .. ثم ضغط زرّ التشغيل ..

- انتحى جانبًا ..!

واندفعت السيارة كالقذيفة ؛ لترتطم بالباب فتهشمه .. وتناثرت الأشلاء والشظايا فى كل مكان ..

وحين هدأت الضوضاء أخيرًا ..

وحين انقشع الدخان ..

وحين عثرت (عبير) على أطرافها المبعثرة ..

كانت هناك فجوة هائلة الحجم فى الباب ، وبالداخل اختلط حطام السيارة بالدخان بالأسلاك والرقائق والدوائر المهشمة .. وأدركت أن مشكلة دبلوماسية ستنشأ بين الأرض وكوكب (أورانوس) حتمًا ..

هتف الجوّال وهو يقتحم المكان :

- هلمى يا فتاة .. دمرى كل ما ترين .. إن هذا هو القلب

النابض لـ (يونيفرس) .. و (يونيفرس) هو القلب النابض للكوكب كله !

وراحت طلقات الليزر تنهمر لتكمر ؛ وتحرق وتذيب ..

فى حياتها لم تدرك أنها تحب الدمار إلى هذا الحد ..

الجوّال يسعل لكنه لا يكف عن إطلاق الليزر .. ترى هل هى تحلم أم أنها تسمع صوت أنين آتيًا من بين هذه الأسلاك ؟ لايعقل أن يكون (يونيفرس) حيًا إلى هذا الحد ..

ـ كفى يا (ميرا) .. إن هذا لن يكفى لتدمير (يونيفرس) .. لكنه سيكفى لشلله يومين أو أكثر ..

وهنا دوّى صوت (يونيفرس) الآلى قادمًا من لامكان :

ـ فليهرع الفنيون إلى القطاع (هكسا) .. إننى أموت أيها الحمقى .. أموت !

نظر لها الجوّال .. وهتف :

ـ إذن فلنسرع !

* * *

كان ما قاله ذو الحجا صائبًا ..

لأن المعجّل كان ـ حقًا ـ جوار وحدة التخصيب .. وقد كتب عليه بخط كبير واضح أنه هو المعجّل ..

لكنه كان جدارًا مصمتًا لا يوحى أبدًا باحتمال فتحة ..
ووقف الجوّال حائرًا يتأمله ..

ثم قال لـ (عبير) فى تردد :

ـ أنا الآن بحاجة لدخول الحمام .. بعدها ربما استطعت التفكير بذهن صافٍ !

حمام؟ فوجئت بكلامه .. ها هى ذى أول بادرة إنسانية فى هذا العالم الذى يعيش بالموصلات المؤكسدة .. حتى إنها ظنت قضاء الحاجة قد صار (موضة) قديمة ..

قالت له فى لباقة :

ـ حسن .. اذهب أنت وسأراقب المكان ..

ـ المشكلة أن دورات المياه النيوترونية لا تناسبنى كثيرًا .. ولكن ما باليد حيلة ..

وتركها واختفى خلف الجدار ... مرت دقائق ، وهى تتأمل الجدار ، والتعليمات الموجودة عليه ، حين سمعت صوت عواء ..

رأت الجوّال يبرز لها وقد بدا عليه الرعب :

ـ يا للعنة !.. لقد أرسلوا الكلاب الآلية وراءنا .. إن هذه الكلاب قادرة على شمّ رائحتنا فى جزء من ألف مليون .. وهم سيجدوننا حتمًا ..

صوت العواء يدنو أكثر ..

لابد من حلّ سريع ..

لابد من مقبض ما لهذا الجدار ، يتحول معه إلى باب !..

وهنا فعلت (عبير) شيئًا ما بدون تفكير .. قرعت الجدار بقبضتها .. وهنا سمعت صوتًا يتساءل من الداخل :

ـ من ؟!

ونظر لها الجوّال في ذهول .. ونظرت له بنفس الذهول .. إن أبسط الحلول قد يكون هو الصحيح ..

وتذكرت قصة عن رجل متمرد سجنه الملك (لويس الرابع عشر) في زنزانة ، ووعده إن هو خرج من زنزانته أن يعفو عنه وإلا حكم عليه بالإعدام .. وقضى الرجل ثلاثة أيام سوداء يفتش الزنزانة ، ويكتشف أبوابًا سرية لا تقوده إلى أى شيء ، إلى أن جاء اليوم الموعود : يوم الإعدام .. عندئذ عرف من الملك (لويس) أن الحل الصحيح كان في يده من البداية .. فباب الزنزانة لم يكن موصدًا !

قطع عليها هذا الخاطر تحرّك الجدار ، وظهور رجل قصير له شعر رأس أزرق ، وعينان حمراوان واسعتان .. وكان الرجل مازال يتساءل ببراءة عن الطارق ؛ حين باغته الجوّال ببضع طلقات ، تهاوى بعدها كومة من الرماد الساخن المشع ..

واقتحما المعمل .. وهرع الجوّال يغلق الباب بإحكام ، ثم راح يركض بين الشاشات ؛ محاولاً فهم هذه التقنيات المعقدة .. ما الذى ينبغى تدميره ؟.. وكيف ؟..

كان هناك بعض الأقزام المذعورين بادرتهم (عبير) بدفعة طلقات قضت على ذعرهم ..

ودنا الجوّال من إحدى الشاشات ، وراح يتأمل المكتوب عليها .. ثم غمغم ونباح الكلاب بالخارج يتزايد :

ـ كيف ندمر هذا الشيء الجهنمى ؟.. بالتأكيد هو أعقد من بضع طلقات على الأجهزة ...

وهنا ظهرت على الشاشات عبارة متألقة مقروءة ومسموعة :

ـ مرحبًا .. أنا الكمبيوتر (نيفا) ابن عم (يونيفرس) .. قدراتى أقل ، لكنى قادر على حل مشاكلك ..

كان صوته ودودًا كأنه طفل يرغب فى بعض اللهو .. فسأله الجوّال وهو يصرّ على أسنانه :

ـ قل لى كيف أدمرك وأدمر هذا المكان اللعين ؟

ـ هاها !.. سؤال غير تقليدى .. لكننى أصارحك أننى قابل للتدمير فقط لو وضعتنى فى مشكلة بلا حلّ ..

تبادل الجوّال و (عبير) النظرات .. ثم غمغم برضا :

ـ هذا لن يكون صعبًا ..

ثم نظر إلى الشاشة .. وسأل :
ـ كم عدد ذرات الرمل فى الكون ؟
على الشاشة كتب السؤال .. ثم تحته كتبت الاجابة :
ـ ٦٠٠٠٠ جوجول و ٤٠٠ أركاديون وذرتان .. هذا ليس عسيرًا ، ولو كنت فى شك يمكنك أن تعدّ بنفسك .. هى هى !
ـ الوغد !.. أراهن على أنه يعبث بنا ..!..
صوت قرعات على الباب .. لابد أنهم الآن وجدوا رماد القزم الأول .. حتمًا هم يعرفون الآن ..
مال الجوّال على الشاشة وسأل سؤالاً آخر :
ـ من الذى يعبر البحر ولا يبتلّ ؟..
ـ كل من يركب غواصة أو سفينة .. وكل سكان (ليموريا) .. ولدىّ إجابة عتيقة من القرن العشرين تقول : إنه (العجل فى بطن أمه) .. لكنها غير سارية الآن ..
ـ إنك لواسع العلم ..
وهنا هتفت (عبير) :
ـ قل لى .. هناك فيلسوف من (كريت) أعلن أن كل سكان (كريت) كذابون .. فهل مقولته صحيحة ؟
ـ لحظة .. إننى ..
وراحت أصوات غريبة تصدر من (نيفا) .. وأرقام

لا حصر لها تتوالى على شاشته .. وطالت الفترة أكثر من اللازم ..

سألها الجوّال عن معنى هذا .. فقالت :

ـ إنها مسألة منطقية قديمة .. نوع من العبارات الثعبانية التى تلتهم نفسها .. كل أهل (كريت) كذابون .. والرجل من (كريت) .. إذن هو كاذب .. إذن أهل (كريت) صادقون .. إذن عبارته صادقة .. وهكذا .. إلى الأبد ...

ـ يا للعجب !..

وراح يتأمل الأرقام التى تتوالى على الشاشات غير مصدق .. وغمغم :

ـ لقد وقع فى الشرك .. لن يحلّ هذه المعضلة أبدًا ..

وبدأ الدخان الأسود يفعم الحجرة .. إن المحولات تحترق من فرط العبء الملقى على الذاكرة ..

فى نفس اللحظة اقتحم (زولتار) الغرفة تحيط به الروبوتات والكلاب الآلية .. ولدهشة (عبير) لم تكن هذه كلابًا على الإطلاق، بل أشياء قريبة من المكانس الكهربية ، لكنها تصدر عواء متصلًا ..!

صاح (زولتار) فى جنون :

ـ أيها السفاحان !.. لو انفجر (المعجّل) لتلاشت حضارتنا من الوجود .. وأنتما معها !

قال الجوّال وهو يلقى سلاحه أرضًا :

ـ إن حياة أمثالنا لا تؤسى كثيرًا عند فقدانها يا (زولتار) .. لكن تذكر حين تتحول ذراتك إلى طاقة أننا لم نهدف إلى تدميركم .. كل ما أردناه هو نجاة كوكبنا ..!

ثم فتح صدره، ليكشف عن قائلة داخلية ملأى بالرقاع :

ـ أطلق نيرانك يا (زولتار) ولننه كل هذا ..

نظر (زولتار) إلى من حوله .. ثم صاح فى حزم :

ـ سيف الليزر يا (بنتا) ..

وتناول المقبض من يد معاونه .. وقذفه إلى الجوّال .. ثم تناول مقبضًا آخر .. واتخذ وضع الهجوم هاتفًا :

ـ رجل لرجل أيها المحارب .. لن يتدخل أحد فى تصفية الحساب هذه .. ولئن قتلتك سأموت راضيًا .. أو قتلتنى فلن أرى نهاية حضارتنا ..

أعتقد أن القراء قد اعتادوا مشهد مبارزات سيوف الليزر الممل من فيلم حرب النجوم بأجزائه الثلاثة ..، لهذا لن أعيد وصف تصادم النصال المتألقة كالبرق .. التى ما أن تتصادم؛ حتى يضىء المكان بوهج أزرق مريع ..، لقد نجح خبير المؤثرات الخاصة (جون دكسترا) فى أن يجعل هذا المشهد كلاسيكيًا ..

(عبير) ترمق ما يحدث فى ذهول ... الدخان يتزايد أكثر فأكثر، والمكان يرتج باستمرار ..

الجوال يجيد القتال .. لكن (زولتار) ليس خصمًا هينًا .. وهنا ......

شعرت بيد (المرشد) توضع على كتفها .. فقد حان وقت الرحيل !..

- لكن .. لكنى لم أعرف نهاية المبارزة بعد يا (مرشد) !

قال لها فى رفق، وهو يبعد الواقفين عن الباب ؛ ليفسحوا لهما مكانًا :

- المنتصر لا يهم .. فالكوكب كله سيتلاشى بعد ثوان .. يجب أن نرحل سريعًا وإلا صرنا فى مأزق ..

- و ... الجوال ؟

- آها !.. إنه فتى شجاع .. ولسوف يموت شهيدًا فى الحالتين سواء مات بالسيف أو بالمعجّل .. لقد ضحى بحياته، لينقذ الأرض ..

معًا يمشيان عبر ممرات (جالاكتيكا) ..

و (عبير) مازالت تنظر للوراء، وتحاول التملص .. إلى أن رأت قطار (فانتازيا) ينتظر ... وأدركت أنها لم تعد تلبس ثياب الفضاء ....



خـاتمـــة ..

ظلت تبكى ساعات طويلة على كتفى (شريف) ؛ لأنها لم تستطع أن تنسى الجوّال الذى سيلقى حتفه من أجل سكان الأرض جميعًا .. لقد آثر الموت ؛ ليحرر الكون من (جالاكتيكا) ..

وأسقط فى يد (شريف) ..

حاول مرارًا أن يذكرها بأن كل هذا كلام فارغ .. نوع من الهلوسة و (هرش المخ) ـ إذا سمحتم لى ـ خلقه خيالها الحاد اليقظ كحيوان (الموركا) ..

قالت له حين هدأت قليلًا :

ـ أبدًا لن أصدق أنه كان حلمًا .. كل شىء كان مجسدًا ملموسًا له رائحة وسحر ... وكنت أنت ثائرًا على كل شىء ، وقحًا إلى حد ما ، لكنك جرىء جذاب .. وإننى لأصدم كلما قارنتك الآن بما كنت عليه !..

قال فى مرارة وكبرياء :

ـ شكرًا .. !

ـ لم أقصد جرح شعورك ..

ـ لكنك فعلت ..

ـ أردت القول إن الخيال هو الواقع كما يجب أن يكون .. وللمرة الألف أقول : إن عنوانى هو هناك ..

ثم جففت دموعها .. وتمخطت .. وسألته :

ـ لم تقل لى قط : إنك تجيد المبارزة بسيوف الليزر !

ـ .... !

* * *

ولهذا .. وحتى تشفى (عبير) من داء الفصام الذى كاد يودى بعقلها ؛ كان على الجوّال ـ معذرة أعنى (شريف) ـ أن يدعوها إلى تجربة أخرى فى (فانتازيا) ..

فى القصة القادمة تجد (عبير) نفسها وسط معمعة الهنود الحمر المولولين ، ووعاظ الغرب المزيفين ، وجنود الجيش الزرق ، والمتبارزين بالسلاح فى شمس الظهيرة ..

إنه الغرب الأمريكى كما كان دائمًا فى خيال الرواة .

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٥٢٦٦

الترقيم الدولى : ٥ ـ ٢٦٥ ـ ٢٦٠ ـ ٩٧٧

فانتازيا

مغامرات ممتعة من أرض الخيال

روايات مصرية للجيب

إمبراطورية النجوم



د. أحمد خالد توفيق

عالم الكوكبات الفضائية ، وسيوف الليزر ، والروبوتات الثرثارة ، والثقوب السوداء .. سيكون علينا أن نواجه كل هذا تارة مع (جالاكتيكا) ، وتارة مع من ثاروا على (جالاكتيكا) ، وتارة مع من هم ضد الاثنين .. اليوم يغدو الليزر هو القانون .. ويصير الموت هو اسم اللعبة ....

الثمن في مصر ١٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع